المجلد الثاني من الكشاف

لا اله الا الله
محمد رسول الله

الحمد لله على التوفيق واستغفر الله
من كل تقصير خادم الفقراء بشير
آغاي دار السعادة
الشريفة

هو

هذه النسخة المستطابة وقف حضرة بشير آغا اغاي دار السعادة الشريفة
وقفا صحيحا شرعيا على قراء دار السعادة جعله الله
من الفائزين بالسعادة وانا الفقير اليه [illegible]
نعمة الله المفتش [illegible]
عفي له

سوره مريم عليها السلام مكية وهي تسعون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين كهيعص
بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقراء الحسن ذكر
رحمة ربك اي هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعي سنة
الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه
ابعد من الريا وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام
على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت
صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف
في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس
وسبعون وخمس وثمانون وقرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه
عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته
ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحد لان الواحد
هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد
ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه
لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو وشبه
الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه
منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان
الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم
المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله
بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت
الي وقت كذا فقال مرحبا وعن بعضهم ان محتاجا سالك بمن توسل بنا الينا وقضى
حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم
على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه

يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من وراءي بعد موتي وقرا ابن كثير
من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الو
لاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت
الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت
الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق
الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم
بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا
الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اخترعا منك بلا سبب
لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة و
نحو ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري
اويرث على تصغير وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع
والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من
آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان
آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب
بن اسحق وقيل هو يعقوب [illegible] ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران
ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد
على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه
وانوه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض
بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت
وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي
لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما
سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا

يموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية
قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر
حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين أفحين اختل السببان
جميعا ارزقه فاه قال لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي والعقر فلما
اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله
غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود
القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج
الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا
وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ~~وحمزة والكسائي بكسر العين~~ ومجاهد عسيا
كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم
يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن
وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي
ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا ومفعول قال محذوف
في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال هو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو
المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا بل المعدوم ليس بشيء او شيئا
يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائي
وابن وثاب خلقناك اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع
الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا
والايام في ال عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فاوحى اشار عن
مجاهد ويشهد له الا رمزا او عن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر
وان هي المفسرة اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم
لحكم فتاة الحي يقال حكم حكما الحكم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل

دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل
وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا
وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف
وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة
وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة
اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلام الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها
اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه
ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال
والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة
عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان
موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي
في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر سويا سوي
الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها
في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر
على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة
الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج
اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان
تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل
فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس
وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان
الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت
روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند
الله الذي هو عدة المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا ارادت ان

كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذ به منك كقوله تعالى
بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أي إنما أنا رسول من استعذت به لأهب لك لأكون
سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن
أهب لك أو هي حكاية لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية
عنه كقوله من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء والزنى ليس كذلك إنما يقال فيه فجر بها
وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة
التي تبغي الرجال وهو فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب
التمام هو فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل
معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين
به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والأرض ولتجزى كل نفس بما كسبت
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه
عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان
على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة
والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب
درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي
العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل
ثلث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس
من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي
بنت ثلث عشر سنة وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من
مولود إلا يستهل غيره فانتبذت به أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحو قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها
فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل
كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك فهرب

بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل فقال إنه من
روح القدس فلا تقتلها فتركها أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل
إلى معنى الإلجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه
ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان قرأ ابن
كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها
طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو
إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع
نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون
تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها
الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها
إنما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها قرئ مت
بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة
الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس
العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح
والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح
فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم
العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة
الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام
دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح
وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها
على الناس أن يعصوا الله بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نسيا بالفتح قال
الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل

لحرص طعام الولادة والخرسة ما تطعم النفساء نفسها

وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه أهله لقلته
ونزارته وقرأ الأعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلام
قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها
أسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها
لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى وعن
قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا
قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فإن قلت
ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما
من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل
العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أمورا إلهية خارجة
من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا وحتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع
من شأنها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بإدغام التاء وتتساقط بإظهار التائين
وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط
وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد
جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بأيديكم
أو على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير
من العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا
بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة
الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي
عنك ما أحزنك وأهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو

وهذا

وهذا من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحروف
اللين في الإبدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله
وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا
تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى يكفيها الكلام
بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت
عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل أخبرتهم
بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق إنسيا أي أكلم الملائكة
دون الإنس الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان أخاها من أبيها من
أمثل بني إسرائيل وقيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه
إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة
وأكثر وعن السدي كانت من أولاده وإنما قيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها
به أي كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هرون
الصالح اتبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا
نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجأ التيمي ما كان أباك امرأ سوء وقيل
احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت
من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فإني عبد الله
ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل
هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت إليه أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه
وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما أشارت إليه
غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها وروي أنه كان يرضع فلما سمع
ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم
بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض

الأمثل الأشرف بالأفاضل والأقرب إلى الخير

أخت هرون كما يقال يا أخا همدان أي واحدا منهم وقيل

منهم يصلح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريب خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق
للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم
الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله
ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته
اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا الى ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في
قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه
نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير قرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره
او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد والسلام
علي قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل من فعل الرجل كذا
والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف
تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائهما من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس
فاذا قال وجنس السلام علي من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام
مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر قول الحق
اي مكان لقول العايد انه كذا
بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك
في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب
وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح
ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقوله
هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله
وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما يسمى العشب
بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون
بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم
فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون فقالت اليهود ساحر
كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رض تمترون

على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب
النصارى وتبكيتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور
في المعقول وليس بمقول عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته
كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس
كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه
ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر
المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه
ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والآخرون
وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله
اي بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى
لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين
تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من
مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة او من
مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر
وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به
في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم
يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهدد
بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء ابصارهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر
اي الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الا
ستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر
والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن
النبي صلى الله عليه انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل

بمقدور نسخه

من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن
وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين
غير مؤمنين يحتمل الله يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض
ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط
صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان
والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان
نبيا في نفسه كقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك
امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة
وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت
زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا
لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر
الرسول اباه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله تعالى
واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت
عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا
لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك باينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة
انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب
الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها
كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة
واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا بنصيحة ربه جل وعلا
حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي
حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه
اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذكر انه طلب منه
اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان

الرشق اي الطف من قولهم رجل رشيق اي حسن القد لطيفه

حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق
لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم
العظيم ولو كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة
هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب
المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون
هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير
الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا
ذاكره ثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه
بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا متلطفا فلم يسم اباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك
علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة
بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان
الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو
عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو
الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر
النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء
همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة
من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر
في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة
وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم
يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك
عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة

أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه
المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك
ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدّر كل
نصيحة من النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في ما لا يسمع ما لم يأتك
يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك
ليس به استماع ولا إبصار وشيئا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيئا
من الغناء ويجوز أن يقدر ونحوه مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم
أغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عنده لما أطلعه على سماجة صورة أمره وهدم
مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بفظاظة
الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في
قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب
والإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج
لصدر رسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لأرجمنك لأرمينك بلساني
يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك
رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب
عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا إذا كان مطيقا
له مضطلعا به فإن قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه
لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع
ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نبتغي الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له
بالسلامة استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر
للكافر وأن يعده ذلك قلت قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر
والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير

بالصلاة

بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا إنما استغفر له بقوله تعالى
واغفر لأبي إنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان
استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول الذي منع من الاستغفار
للكافر إنما هو السمع وأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى إلا قول
إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت
فيه الأسوة وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أي ما قال واغفر
لأبي إلا عن قوله لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم
الحفي من البليغ في البر والإلطاف حفي به وتحفى به إذا أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام المراد بالدعاء
العبادة لأنه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة لأنه
ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة
الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع
لله في كلمة عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس
ما خسر على الله أحد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه أولادا مؤمنين أنبياء من رحمتنا
هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي
أتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد
عما يطلق باليد وهي العطية قال إني أتتني لسان لا أسر بها يريد الرسالة ولسان
العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين
فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم وقال عز وجل ملة أبيكم إبراهيم وملة إبراهيم
حنيفا ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى
عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء
أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من
الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع الأمين من

والیمین اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبّهه بمن قرّبه بعض
العظماء للمناجاة حيث كلّمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قرّبه حتى سمع صريف
القلم الذي كتبت به التوراة من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون
او بعض رحمتنا كما تولّه ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف
بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة
على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رض ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق
الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم
والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد
صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة ناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح
فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدا باهله في الامر بالصلاح
والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك
الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق
عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم
النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان يلوي نصحا للاجانب فضلا
عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل
سمي ادريسا لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان
افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب
من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب
بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة
قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة والزلفى
عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن

متن

مالك بن صعصعة انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن
الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله
عليه الشعر الذي آخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر
سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء
منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه
جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل
من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى
لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان
جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له
كان خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع
وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلعم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القرآن على
رسول الله صلى الله عليه في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن
ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك
عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه ان القرآن نزل بحزن
فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرأ
اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال
اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من
عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك خلفه
اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون

لا قالوا وغد في ضمان الخير وعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهم انهم اليهود
تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم
ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن
علي رضي في قوله واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
وعن قتادة هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر
عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق
الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون وقرئ
يدخلون ويدخلون اي لا ينتقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم
لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون
البتة اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت
دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة
وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن
لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة
لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن
وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم
غائبون عنها لا يشاهدونها او يتصدقوا بالغيب والايمان به وقيل في ما تيا مفعول
بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او من قولك اتى اليه احسانا اي
كان وعلى مفعولا منجزا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر
على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما
احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل
والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا

يستمعون
فلا يسمعون الا ذلك فهو واد قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول او لا
فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام
هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلام واهلها عن الدعاء بالسلامة
اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من
الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى
وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب
من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء
وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين نورث وقرئ نورث استعارة
اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم
القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم
من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت
لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطاه رسول الله
روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه
مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي صلعم
ابطات ساءظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت
نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة الضحى والتنزل على معنيين
معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك تنزل
من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع
النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله على ما يراه
صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك
ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل
حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا

يقال فلان ياكل الوجبة اذا اكل في اليوم
والليلة مرة

ان ننتقل في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما
سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو
اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل
ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي
وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب
عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا ويأذن
لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي
ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك
وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك
لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي
عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان
يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرفه على اهل الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب
غيرك من المتقين وقراء الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن
مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البغي رب السموات والارض
بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض
فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون
وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت
هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة
جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد
عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط

وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا
يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره
ووجه اخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل
في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه
اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها
ويحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت
لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة
فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
رجل منهم وقال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس
خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة
العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد
قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى
الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت
الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا للتوكيد ايضا فكانهم
قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد
والمراد الخروج من الارض ومن حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا
اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن وابو حيوة
لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود رضه ولسيعطيك
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون
الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت نعمة فلان
اسات اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه
وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك

أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود
ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء
بمؤلف ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية
فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة
الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يكن شيئا
دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان
لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم
ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن
صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا
وفي حرف أبي يتذكر من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في إقسام الله تعالى
باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما
رفع من شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في والشياطين
يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فإن قلت هذا
إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم
مع الشياطين قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول
جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم
فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرورهم ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم
فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم
فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم
يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على

عتلت الرجل ... إذا جذبته جذبا عنيفا

ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل
أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها
على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبى خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم
من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وإن
فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال
مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل
إلى الثواب والعقاب المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت
أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد
نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم
فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم
أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية
هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم
أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم
بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم
واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي
هي صلته حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع
واقعا على من كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد
بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء فإن
قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه قلت هما
للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى
بالنار كقولك هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا وإن منكم التفات إلى الإنسان

أي يغشيهم

كان يبيع الثياب الهروية فعرف
بها ولقب الهراء

بعضها قراءة ابن عباس وعكرمة ولنرينهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور
فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون
وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة وروي دواية وعن جابر بن
عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة
وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول
الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت
على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط
ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين
وردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن
النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث
الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار
خاصة فالمعنى بين حتما مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله
وضرب الأمير لكان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون
غيره قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر
وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب
ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس
والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء أي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل
على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد
تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني
مبينات المقاصد إما محكمات أو متشابهات تبعها البيان بالمحكمات أو تبيين الرسول
قولا أو فعلا أو ظاهرات الإعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والحق

ننجي مخففا
كسائي ويعقوب
والباقون
بالتشديد

أن تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا فإن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججا للذين
آمنوا يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويوجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم
وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه
قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام
والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم
يجتمعون ويتشاورون
إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من
العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا
حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا
يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم وكم
مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل
عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم وهم أحسن في محل النصب
صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية الأ
ثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وأنشد
هو مر
الحسن بن علي الطوسي: تقادم العهد من أم الوليد بنا دهرا وصار أثاث البيت
خرثيا ورئيا قرئ على خمسة أوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من
رأيت وريئا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والإدغام
أو من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف
الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته وإلقاء حركتها
على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لأن الزي محاسن مجموعة
والمعنى أحسن من هؤلاء أي فليمدد له الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ
الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير
الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله إنما نملي

لهم ليزدادوا إثما ومن كان في الضلالة فمد له الرحمن في معنى الدعاء بأن يمهله الله
وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي
رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى
إذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون
عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم
وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر
على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن
نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني أن تتصل بما يليها والمعنى أن الذين
في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبأن الألطاف
لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم
في كفرهم إلى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين
أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها فإن قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى
بعدها الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون
فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن
مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم
وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد
لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي
يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصا
لحات أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله
إلا الله والله أكبر أي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي مرجعا
وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مرد وهل يرد بكاي زندا فإن قلت
كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات

الزند الذي يقدح به والمراد يجدي بكاي قليلا ويروى زندا بعد أخاه

خيرا منه كأنه ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله
شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلا إذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم
ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد
من أن يقال له عقابك النار فإن قلت فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم
شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي
أبلغ في حره من الشتاء في برده لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا
إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت
لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر
واذكر حديثه عقيب حديث أولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى
إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون
مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول
أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار
والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين
إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك قرأ حمزة
والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن
يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل
صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله إليه أنه يؤتيه
ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن
وائل قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فإني إذا مت
بعثت قلت نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون
وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ

كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان
قيل كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير
قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما
سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي
تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف
انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجرد ههنا
لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع
الذي يعذب به الكفار المستهزءون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد
يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رض ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر
وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما
يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى
ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي
فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يعطيه يوتيه لقيه في الدنيا مالا وولدا وبلغت
به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتال
على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه
في العاقبة وياتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى
الاية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا
فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله وياتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل
له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف
ونعيره به وياتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله
ولم نوته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا
على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه
فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بالهتهم حيث يكونون

لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
بالالهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين
وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه
الرواية فهي كلا التي للردع قلبت الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير
في سيكفرون للالهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا
وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء
العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي
يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا
ويكون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم
اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان
قيل لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم
وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو
في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعدائهم ضدا
اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الان والهز والاستفزاز اخوات ومعناها
التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسوله
صلى الله عليه بعد الايات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم
على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم في اتباع

الشياطين وما تسول لهم تعجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا
ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم
فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة
تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحو قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضه انه كان اذا قراها بكى وقال
اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك
انه كان عند المامون اذ كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفذ نصب
يوم بمضمر اي يحشر ويسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر
ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي
غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة
عندهم وعن علي رضه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى
نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف
كانهم نعم عطاش تساق الى الماء الورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش
وحقيقة الورد المسير الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء
فسمي به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون
الواو في يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم
على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل
من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان
ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون
ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان
النبي صلى الله عليه قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله
عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك

كانها في سرعة تقضيها الساعة يريد ان
قوله انما نعد لهم عدا كانه عن سرعة
تقضي اجلهم قال في قوله تعالى دراهم
معدودة معدودة قليلة نعد عدا وقيل
للقليل معدود لان الكثير يمنع من عده لكثرته
طيبي

يعني التعليل لقوله
انما نعد لهم عدا
دل على انه شرى
بانتهاء الحد منهم
ولا شك ان انفاسهم
وايامهم على كثرتها
يستوفي احصاها
ساعة فعبر
بهذا عن القليل
وهذا ليس مبنيا
على ان كل ما يعد
فهو قليل على ما سبق
في قوله دراهم
معدودة
كشف

وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير
واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد
فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من
عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له
فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من
بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن
خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني
اثقلني وعظم علي ادا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من
فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود
ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قيل
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر
هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول
كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني
على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها و
تصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في
المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه
وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الا
لتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه
على عظم ما قالوا في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حاله لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثله لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عد الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها

وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وهل تحس من احد او تشعر به واحدا منه لحواسك والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

اي قوي والبس كل نبي

مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم
واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد
من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله سورة طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى بسم الله الرحمن الرحيم
ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على
الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي
صلى الله عليه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا
وان الاصل طا فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني
عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما
على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا
تصرفوا في هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا
على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلا
ئقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها
في اول الكتاب عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان
جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها
اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع
موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى
لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع
نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض
مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط
في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك
شقي لانك تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي

انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة
علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل
ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لا
ستجماعه الشرائط فان قيل اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى
كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار
موسى قومه واما النصبة في تذكرة فكالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل
الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قيل هل يجوز ان يكون تذكرة
بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب
التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق
وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى
هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره
الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب
تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له
لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا
لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص
وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو
معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد
تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من
هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة
له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ

متعلقه

الغائبة قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة
ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا
ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة
والتمجيد فضوعف الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل
والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق
مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع
احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا
مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها
اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف
لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما
كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن
الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير
البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان
اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان
مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان
من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة
لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله
مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا
غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان
عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما
اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار
العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به

مسيرة اعوام ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو م

علما وليس بذلك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر
بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر
كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما
للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر الحسنى تانيث الاحسن
وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب
اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء
دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية
في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب
اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا
لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له
في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا
اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين
لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل
هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه
لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين
متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم
لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة
او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني
الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار
الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي
هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل

النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان
يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا
مشرفين عليها ومنه قول الاعشى   وبات على النار الندى والمحلق   قرا ابو عمرو
وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى
او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة
وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي لما نودي فقيل يا موسى قال من المتكلم فقال
الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت
انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين
انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح
الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت
الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن
اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد
الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت
غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل
لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم
دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران يدل على
ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه
والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل
المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثني اي نودي نداءين وقدس الوادي كرة
بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي
يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد
ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها
في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق

او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا
تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم
على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله او للاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست
ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد
بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول
اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان
الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرا رسول الله للذكرى اكاد اخفيها
فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعميه
وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام
على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي
اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن
ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها
كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ
القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد   فاكاد اخفيها
محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اي يصدنك عن تصديقها والضمير
للقيامة ويجوز ان يكون للصلاة   العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود
نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء
هذا المقصود   فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب
للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر عن التصديق مسبب
عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك

فههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرتهم وذلك سبب رؤيته اياه فكان
ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح
منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة
هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور
دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك
الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث
عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع
التقليد واهله تلك بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة
ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه
عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة
البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان
يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام
لبوسا مسرودة فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة و
انيق السرد قرأ ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري ارادوا الكسر ما قبل
ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي
بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحق
سكون الياء التوكؤ عليها اعتمادها اذا اعيي او وقف على راس القطيع
وعند الطفرة هش الورق خبطه اي اخبطه على رؤوس غنمي تاكله وعن لقمان
بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة تحبو وسقاء يرقع والحمد لله
من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخبت واد قريب من الطائف كثير
السدر وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر
لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر
الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا

السؤال عن امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات
جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام
ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها
ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين انت عن
هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة
كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما ساله ليبسطه منه ويقلل هيبته
وقالوا انما اجمل موسى ليساله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع
لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات
شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب
وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل
كان فيها من المعجزات انه يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا
وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة
ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه
ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام السعي المشي
بسرعة وخفة حركة   كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان
قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان
والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك
وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية صفراء دقيقة ثم تتورم
ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها
والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها
تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها

اربعون فيراعها لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر
عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر
فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لأنه عرف ما لقي آدم
منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل
يده في فمها وأخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان
سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين
فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت
عصا ولن يكون أعاد منقولا من عاده بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن
تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا
بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب
سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث
كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر
لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا
جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله
تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة
وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب
وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى
أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم
فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر بيضاء وآية حالان
معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه
آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق
بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين

كنايات

بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بها الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك
لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما
يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه
من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن
يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة
معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب   لي في قوله اشرح لي
صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام بدونه مستتب   قد أبهم الكلام
أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الإبهام بذكرهما
فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر
أمري على الإيضاح الساذج لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل
عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى أن يده احترقت
وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى
الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون
في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها
فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان
في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه
موسى وقيل زالت لقوله قد أوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وإن لم يقل واحلل
عقدة لساني أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفقه عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة
الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر
لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لأن الملك يعتصم برأيه ويلجئ إليه
أموره أو من المؤازرة وهي المعاونة عن الأصمعي وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة
إلى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس

أن ن

وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز
ونظيرا الى بوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم
ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان
للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون ولو جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قراوا
جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي
مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه على الجواب في امري واشدد
به ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به
خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة
حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به
الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا بان التعاضد مما يصلحنا وان
هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة
فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون
على لسان نبي في وقتها لقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه
النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها لقوله واوحى ربك
الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه
مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم
مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى
الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام
رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة
الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر
النظم   المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل
ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر
فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي

ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشية الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم
الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو
تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت
في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية
اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا
شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه
لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه
اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة
مني لا يخلو ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله تعالى
احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة
مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى
وتحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع
اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة
مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرى
ولتصنع والتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرى ولتصنع بفتح
التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في اذ تمشي القيت
او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا   كيف يصح البدل والوقتان
مختلفان متباعدان   كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان
يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو
في اولها وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة

فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان اسية استوهبته من فرعون
وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه
عليه الاسرائيلي فقتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب
الله ومن اقتصاص فرعون ان يقتص فيه المظاهرة حين هاجر بها الى مدين فتونا
يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن
سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر
وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة
المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم
بالشر والخير فتنة مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند
شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في
قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت
الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه
الى الانبياء وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم
والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا
لئلا يكون احد اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه
لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنيه ولا يامن على مكنون سره الا سواه
ضمير الواقي الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنساني
ولا انول منكما على ذكر حيثما تقلبتما والمحاذ ذكري جناحا تطيران به مستمدين
بذلك العون والتائيد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري
ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة

وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا كذا في معاني الزجاج

من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى
الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك فقولا له قولا
لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى
ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم
وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له
لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له
في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من حق الابوة وقيل كنياه وهو
من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا
على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه
فهو يجتهد بطرقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه
لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة
من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة
فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل
اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا وقرئ يفرط من افرطه غيره
اذا حمله على العجلة خافا ان تحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه
القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ
من قومه وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي يخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ
الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفاه
وجرباه من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي
لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز
باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما

أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز
أن يقدر أقوالكم وأفعالكم وجائز أن يقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع
مبصر وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو
كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر
والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك
بآية من ربك جملة جارية من الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة
لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد
في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على
ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين
أو لو جئتكم بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ
خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو
موسى لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على
استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى
ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه أول مفعولي
أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء
صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإ
بصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد
منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج
منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف والمضاف إليه
أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما
أعطي وكيف يتوصل إليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن
ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا

من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن
الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني
به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله
أن يخطئ شيئا أو ينساه يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك
ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون
قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف
القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم
وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز
عليه الخطاء والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل
كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع
صفة لربي أو خبر مبتداء محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحازه مهدا
قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي
سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها
ووسطها بين الجبال والأودية والبراري فأخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ
المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة
لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله تعالى
وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم
من السماء ماء فأنبتنا به ثمرات مختلفا ألوانها حدائق وفيه تخصيص أيضا بأنا نحن
نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد أزواجا أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة
مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز
أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى

نبت الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها
يصلح للناس وبعضها للبهائم قال الواحدي نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل
بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين
كلوا وارعوا انعامكم حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في
الانتفاع بها مبيحين لكم ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها اراد تخليقهم من الارض
خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة
المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد
باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا
احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق
بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم
فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم
وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله عليه تمسحوا بالارض فانها بكم برة ارينا بصرناه او
عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله
آياتنا كلها وجهان احدهما ان تجري بهذا التعريف الاضافي مجرى التعريف
باللام لو قيل الايات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى
الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني
ان يكون موسى قد اراه اياتهم وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم
وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى
ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق يلوح من حيث قوله اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرعون كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام

ليعلم وابقا انما انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا
يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان
ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد في
قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته
زمانا نظرا في ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل الزمان
مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك
ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة
الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان
يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير
في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فكيف طابقه قوله موعدكم
يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان
هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم
الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان
واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة
وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون
المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فبم ينتصب مكانا
بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فكيف يطابقه الجواب
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم
الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبر
على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء
ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون
ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ
سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن

عن مجاهد وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت
فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ وأن تحشر الناس
بالتاء والياء يريد ولن تحشر يا فرعون ولن يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون
ذكره بلفظ الغيبة إما على العادة التي تخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله
موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل أن يحشر الرفع أو الجر عطفًا على اليوم أو الزينة
وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق
الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل
حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع
أهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله كذبًا أي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرًا أو قرئ
فيسحتكم والسحت لغة أهل الحجاز والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ومنه قول
الفرزدق   إلا مسحتًا أو مجلف وبيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه
عن ابن عباس أن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة إن كان ساحرًا
فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمره وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا
بقول ساحر والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم
قالوا إن هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره
خوفًا من غلبتهما وتثبيطًا للناس عن اتباعهما قرأ أبو عمرو إن هذين لساحران
على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص إن هذان لساحران على قولك
إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ
أبي إن ذان إلا ساحران وابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام
بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة إن هذان لساحران هي لغة بلحارث
بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب وقال بعضهم إن بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام
داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو إسحق سمعوا مذهبهم

المثلى من السنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتهم
وهم بنو إسرائيل لقول موسى أرسل معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه
الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال طريقة قومهم ويقال للواحد
أيضًا هو طريقة قومه فأجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم
أي أزمعوه واجعلوه مجمعًا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة
المجمع عليها أمروا بأن يأتوا صفًا لأنه أهيب في صدور الرائين وروي أنهم
كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة وعن
أبي عبيدة فسر الصف بالمصلى لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين
ووجه صحته أن يقع على المصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ايتوا مصلى من
المصليات وقد أفلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب أن ما بعده
إما منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين
أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له
وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم
ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار إلقائهم أولًا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب
حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا
أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته
وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في إذا هذه إذا المفاجأة
والتحقيق أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبًا لها وجملة تضاف إليها خصت
في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلًا مخصوصًا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم
وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي وقرئ عصيهم بالضم
وهو الأصل والكسر إتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على إسناده إلى
ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله أنها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه

وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل
وتخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك ايجاس الخوف اضمار شيء
منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية
وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك
انت الاعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيدا بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير
الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك
ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد
الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره
وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك
شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله
ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف
بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون قرئ كيد ساحر
بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر
بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد
لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو
لم وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى
العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس
فلم نكر اولا وعرف ثانيا انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل
تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه
لا في امر الدنيا ولا في امر الاخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري
وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي حيث اي كقولهم حيث سير واية سلك واينما كان
سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم

النبأة الصوت الخفي

بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا
رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا
اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة لكبيركم لعظيمكم
يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة
للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن
وفي كل شيء قرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد
اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك
رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ
من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال
اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف
شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل
اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره
وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضي هذه الحياة الدنيا ووجهها ان الحياة
في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين
وسبعين اثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم
السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس
الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية
قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من

اي لاجل هذا التشبيه لم يقل على جذوع

من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا
يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون
مخففا عن اليبس وصفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد
تاكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير
في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك
اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ
لا تخف ثلثة اوجه ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك آمن
لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق
من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان تكون مثل
قوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي
تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه تعا
او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله
وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل خطاب
لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم
في عهد رسول الله صلى الله عليه من الله عليهم بما فعل بابائهم والوجه هو الاول
اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم
وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه
من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة
اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم
رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم

من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان
يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي
وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها و
يأشروا ويتكبروا قرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى
الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي
محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول
هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من راس
مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض
بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة
والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني
زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه
لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان
قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى
كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضاء
الله وزال عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالـ
مصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز
ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله
هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن
عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع
في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر
غريب ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق
عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك وتنجز موعدك

والمراد بالافصح كثرة جريانه على السنة الفصحاء

وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق   قد تضمن ما واجهه به رب العزة
شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه
فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين
من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال
عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب
لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم
المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم
الا اثنا عشر الفا   في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها
اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين
هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك   قد اخبر الله تعالى عن الفتنة
المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم
غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا قرئ واضلهم السامري
اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال
لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل
كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله
عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين
متى رجع الى قومه   بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية فيها هدى ونور ولا وعد احسن
من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل الف آية يحمل اسفارها
سبعون جملا العهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني
بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا

موعدك بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا مو
عدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن
غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم
او ارادوا باوزارها انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار
الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ
فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي
وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا
وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان
انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقها
الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل   كيف اثرت تلك
التربة في احياء الموات   اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس
بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره
تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا
الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع   فلم خلق الله
العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا   ليس باول محنة
محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليعجب من
خلق ابليس والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان
اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين
قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه
عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه
فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من
قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم

عطف بيان وسبب منع الصرف في حيزوم التانيث والعلمية ومعناه اسم فرس جبريل ع

حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم
هارون عليه السلام بقوله إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن لا من يد والمعنى
ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت
من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك
لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا
حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم
يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن
ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية
وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضا على
شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا
وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك
على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك
والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئا
ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما
لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له قرأ الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية
المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع
الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف
بمقدمه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول لم سماه الرسول
دون جبريل وروح القدس حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل
الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري
فقال إن لهذا شأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته
قال قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه

جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش
به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل
اللاجي إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك اليوم وقرئ
لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء إن وردت الماء فلا عباب وإن فقدته
فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والأبة وهي المرة من الأب وهو الطلب لن تخلفه
أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه
لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته
خلفا قال الأعشى أثوى وقصر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة
موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى
قوله عز وجل كما مر في لأهب لك ظلت وظلت والأصل ظللت
فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه
ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان
من الإحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق
مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي
بن أبي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة
ثالثة وهي إبطال ما افتتن به وفتن وإهدار سعيه وهدم مكره
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قرأ طلحة الله الذي لا إله إلا
هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسّع
فوجهه أن وسع متعد إلى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فانتصابه
على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل إلى التعدية إلى مفعولين

اسم امراة

فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما في خاف زيد عمرا اخوفت
زيدا عمرا فتردد بالثقل مما كان فاعلا الا الكاف في كذلك منصوب المحل و
هذا موعظة من الله عز وجل لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا
عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوا
لهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي اتيناك
يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والا
عتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه
ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الباهظة سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي
يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو
الاثم وقرئ يحمل جمع فالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير
معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه
قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا اي في ذلك الوزر
او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا و
والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم
كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى
وساءت مصيرا جهنم.   اللام في لهم ما هي وبم يتعلق
للبيان كما في هيت لك.   هي
ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر
لا يصلح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم   فلا يكن ساء
الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى همة
اهم واحزن   كفاك صادا عنه ان لا يؤول كلام الله واحزن الوزر لهم يوم القيامة
حملا وذلك بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب اسند النفخ الى الآمر به

يقال فدح الدين اثقله

اي الناقة

لا يقال احزن له وانما يقال احزنه

فيمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من
رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ
بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل
عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع
صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني
انه القرن قيل في الزرقة قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الالوان الى
العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود
الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره
تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها
بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت
مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا
واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث
اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم
في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم
في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى
الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم
يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة.   قد فرقوا بين العوج
فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها
المكسور العين.   اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض

لاحتراقه

من خفت صوته اي خفض

بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض
فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على ان
لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها
على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن
بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا
بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا با
لقياس الذي دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير
يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ
اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى
المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل
اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف
متبعين لصوته او خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو
الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا
مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا
فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع
ورضي له قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته
علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة
وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم
الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة
وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب
خاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له

كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا يستوفون ويبخسون حقوقهم واذا كالوا يخسرون
اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على
النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات
المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد
ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا
يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث
انت وسكن بعضهم الثاء كما في فاليوم اشرب غير مستحقب تعالى الله الملك
الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده
ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما
يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد
واذا لقنك جبريل ما يوحي اليك من القرآن فتان عليك ريثما يسمعك و
يفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته
ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان
ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى تقضي اليك وحيه وقوله
رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي
فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله
بطلب الزيادة في شيء الا في العلم يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم
الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه
قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم
قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه
بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل
ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم

ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم
على ذلك وعرقهم راسخ فيه . ما المراد بالنسيان . يجوز أن يراد
النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن
أن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها
وقرئ فنسي أي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن
يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون
بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما
إذ منصوب بمضمر أي اذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته
إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة
البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات
إبليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه
فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة . كان في صحبتهم وكان يعبد الله
تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي
معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم
كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف
وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام
فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة . عمل على حكم التغليب
في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا
إلا فلانة لامرأة بين الرجال أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال
لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لإخراجكما
وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج
فتشقى

في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن
سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة
أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع
(بالعين والصاد المهملتين)
إليه وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه
وقرئ وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع . إن لا تدخل
على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها
فلم أدخلت عليها . قلت الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة
عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما
كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي
يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج
إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها
بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه
بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها
كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان
وأخرى بإلى . قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة
الدجاجة في أنها حكايات الأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس
المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي وسوس يدعو
مخلصا رب الفلق . فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله أجرس يا ابن
أبي كباش ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه
أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم
فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي
وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل
وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة

قصيرة حتى للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير
والتكرير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوأتهما
للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما
وقيل كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في
أطراف الأصابع عن ابن عباس لا شبهة في أن آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم
الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من أن
يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لأن الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى
آدم ربه فغوى بهذا الإطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم وأخطأ
وما أشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة
بليغة وموعظة كافة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم
حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة
وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا
أن تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الأكل وهذا
وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم
بنو طي تفسير خبيث   ما معنى ثم اجتباه ربه   ثم قبله بعد
التوبة وقربه إليه من جبى إلي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها
ومنه قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا جبيت إليك
فاجتبيتها وأصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها إذا اجتمعت
نفسها راجعة بعد النفار وهدى أي وفقه لحفظ التوبة وغيره من أسباب
العصمة والتقوى لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين
اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم
فقيل فإما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب وهو
في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع

القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين
فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه
الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى
ذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق
ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة
والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض
المتصوفة لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن
الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله وقال ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال استغفروا ربكم   قال
إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وأن لو استقاموا على
الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار
وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على
محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون
الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمي كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم
فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر
ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه
عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في
الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة

أشد وأبقى كأنه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش
المنقضي أو أراد ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه لآياتنا فاعل لم
يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في
الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله
أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد
عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتأخير
جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة
واللزام إما مصدر لازم وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم لفرط
لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان
أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل
المسمى دون الأخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح
وأعانك عليه المراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات
على الفعل آخرا فكأنه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل
وأطراف النهار مختصا لهما بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب
وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم
قيلا وقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولأن الليل وقت السكون والراحة
فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت
أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة
وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت
في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين
ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وإنما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار
الوجه أمن الإلباس وفي التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء الأمرين في الآيتين

مجيئهما

مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على
آناء الليل ولعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند
الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
(أي الضمير راجع إلى المخاطب)
أي نظر عينيك ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه
وإعجابا به وتمنيا أن يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل
ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم حتى واجههم أولو العلم والإيمان بويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه
وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر إلى
الزخارف كالمركوز في الطباع وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره
ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاد له و
ضار به ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية
الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لأنهم إنما اتخذوا هذه
الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم
(المغرى)
على اتخاذها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا
من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو
أصناف بعضهم وناسا منهم علام انتصب زهرة
على أحد أربعة أوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا
معنى أعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى إبداله من محل الجار والمجرور
وعلى إبداله من أزواجا على تقدير ذوي زهرة ما معنى الزهرة
فيمن حرك معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة
الجهرة وقرئ أرنا الله جهرة وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم بأنهم
زاهروا هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل
وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون

(الشارة اللباس والهيئة)

والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر لك من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض احمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلوة أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله ثم يتلو هذه الآية اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست معجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف وذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل أي كل واحد منا ومنكم متربص والجيد او المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة

يعني على سبيل الدعاء منه كانه قال لا كان امر اهم اباه الا برهن كانقول لا رحمك الله

المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس سورة الأنبياء مكية وآياتها ١١٢ بسم الله الرحمن الرحيم هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا للإضافة للحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب عن الإدراك والمراد اقتراب الساعة والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فإن قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون

صبابة الشيء باقيته

نما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق
الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ
ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم
خبر بعد خبر لقولهم وهم واللاهية من لهى عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم
في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل
والتبصر بقلوبهم النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله وأسروا
معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم
متناجون أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش
فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو
مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر
تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا الكلام
كله في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا أن رسول الله لا يكون إلا ملكا وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون
وتعاينون أنه سحر لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة
في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا
في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان
ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله
والمؤمنين إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه هلا قيل يعلم
السر لقوله وأسروا النجوى القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم
بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله

يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى
عليه خافية فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذي يعلم
السر في السموات والأرض ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء
بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام
افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه
من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه
فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات
والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي
حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه لهم أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط
أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج
والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى
لأقوالهم ودرج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني
وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث أنه في معنى
كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى
أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة أفهم يؤمنون
فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها
فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث
وأنكث أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم
أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم
على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكذبونهم
فيما هم فيه ردء لرسول الله لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا
الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب

والأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام   نعم قد رد
إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم
بقوله وما كانوا خالدين   يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش
ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة
لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم
الوعد مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم
القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة ذكركم
شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أي موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق
التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق
الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن
غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم
الأجزاء بخلاف الفصم أراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين
لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي
وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى
الله عليه في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط
الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي أنه
لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء ندموا واعترفوا
بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي
الله عنهما ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية فلما
علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من
ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز
أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما
أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم

بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف
من القائل   يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلون
خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم
في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش
الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسألون تهكم
بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم
ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره
وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي
ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل
الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون
بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم ويمترون
أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس
وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ تلك إشارة
إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى
بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.
لم سميت دعوى   لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا
وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع
المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد تشبههم به في استيصالهم و
واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب
هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعد كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل
نصبها جميعا على المفعولية   كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل.

بحكم الاثنين الاخيرين بحكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا
للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اي وما سوينا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة
بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم
للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار
واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق
التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعاله
هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء
قدير وقوله لاتخذناه من لدنا لقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو
الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا من الملائكة لا من الانس رد
لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته
كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا
عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف
والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة
مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا
يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف كقوله سأترك منزلي
لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه من عنده هم الملائكة والمراد
انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل
والبيان لشرفهم وتفضيلهم على جميع خلقه الاستحسار مبالغة في الحسور
وكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور في الاستحسار بيان ان ما هم
فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان
يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ

او يشغل اخر هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها
والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعل الغرض
اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات كيف انكر عليهم اتخاذ الهة
تنشر وما كانوا يدعون ذلك لالهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم
كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى
منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج
عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا
الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار
لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه
باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح
استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله
من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض
الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية
ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه اين ربك فاشارت الى السماء
فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية التي هي الاصنام
لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان
تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض لا بد من نكتة في قوله
هم النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر
على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله
الموتى ونشرها وصفت الهة بالا كما يوصف بغير لو قيل الهة غير الله
ما منعك من الرفع على البدل لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب و
البدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك

لان أمر العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة
شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب
أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله
لم وجب الأمران   لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما
من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر
وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات
المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر إذ كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا
يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا
وإجلالا مع جواز الخطاء والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الأرباب
خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من
أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطاء ولا فعل القبائح وهم
يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم
لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما
لكفرهم أي وصفتم الله تعالى بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل
وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله
وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه أي هذا الوحي
الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء فهو
ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين قبلي يريد أمم الأنبياء وقرئ
ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول
كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي
على من الإضافية في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم

هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته
وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد
كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا
الإعراض ومن هناك ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل
ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق
لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي
التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن
ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون
مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات
لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك
علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته
أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق
قولهم قوله والمراد بقولهم فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون
قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم
أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون
ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلإحاطتهم بذلك
يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم
لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب
والتعظيم ثم إنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون أي متوقعون من إمارة
ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه
الله رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد أن وصف كرامتهم
عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال

المرضية فجاء بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل
الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد قرئ الم ير بغير واو ورتقا
بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض كانتا مرتوقتين
الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت
هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة
بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج
بينهما ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت
مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض
اي مطبقة لا فرج بينهما ولا خلل
ونحو قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل
في المظهر   متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك
فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام
المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما
جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه
وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى الواحد فالمعنى
خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خالق كل دابة من ماء او كانما خلقناه
من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من
عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه
ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ
حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب
او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد
لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع
في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى

الفتق [illegible] تتساقط [illegible] والثمر

لتسلكوا منها سبلا فجاجا   لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله
لعزة موحشا طلل قديم   ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت
فيها صح
احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها
على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان
يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة
عن آياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات
ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم
يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها
عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو
عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على
الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة
بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها
آية بينة على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم
في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكا
ثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس
واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو
السباحة   الجملة ما محلها   محلها النصب على الحال من الشمس والقمر
كيف استبد بها دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت
كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها
بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها   لكل واحد من القمرين
فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم

الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين
فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا او لان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون
انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد
في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت
ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم
والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وانما سمي
ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار
وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال
على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا
فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا
الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا
تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما
ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا
فهم احق بان يتخذوا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزؤا
وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله
وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الا
ستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم
مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم
وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل
الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في

النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس
انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير
وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته
لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان
عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق - هذا كما ركب فيه الشهوة وامره
ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق
الانسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه
النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا
لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي
هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم
ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون
عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا
يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت
الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير
للوعد او للحين فان قلت الام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت
الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تأويل العدة
والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى
الضمير للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير
بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول
الامهال سلى رسول الله صلى الله عليه عن استهزائهم بان له في الانبياء عليهم السلام
اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا
من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم

فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال
عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالي ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلاهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم
الهة تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا وحفظنا ثم استانفه فبين ان ما ليس بقادر
على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره
ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا
وما كلاناهم واباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا
غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة
فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك
طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر دار الحرب ونحذف اطرافها
بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار الاسلام
اي فايدة في قوله ناتي الارض قلت الفايدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي
المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة
عليها ناقصة من اطرافها قرئ ولا يسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع
انت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع الصم لا يسمعون دعاء المبشر
كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون اللام في الصم اشارة
الى هولاء المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا انذروا اي هم
على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من ايات الانذار ولئن مستهم من هذا
الذي ينذرون به ادنى شي لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين
تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ووصفت الموازين
بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات
القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جيت لخمس ليال خلون من الشهر ومنه

ومنه بيت النابغة ترسمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع
وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم ما المراد بوضع الموازين
فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال
بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن
بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقة ويزن بها الاعمال عن الحسن
هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سال ربه ان
يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان
يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبد ملاتها بتمرة
كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض فيه قولان احدهما
توزن صحايف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة
وفي كفة السيات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان
كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد اتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى
المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها
من الثواب وفي حرف ابي جينا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم
ذهبت بعض اصابعه اي اتيناهما الفرقان وهو التورية واتينا به ضياء وذكرا
للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكرا واتيناهما بما فيه من الشرايع والمواعظ
ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق
البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وعن ابن عباس ضياء بغير واو وهو
حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف
محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر مبارك هو
القران وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال
الله تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشدا والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له شانا من قبل

الفرقان

من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات
قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم
بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل لطفا ما ان يتعلق
باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه
التماثيل تجاهل لهم وتغابي ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم
لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف

التغابي التجاهل

لها او واقفون لها هلا ابتل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام
لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل
بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا
اباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم
على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل
التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال
به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك
اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى
مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم
ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله
على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا جئتنا به اهو جد وحق

المداعبة الممازحة

ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل
ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه و
تصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى
بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم قرأ معاذ بن جبل بالتاء وقرئ تولوا
بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين ما الفرق بين الباء والتاء

قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها
زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا
مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا
في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن
اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا وبيت
الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا
الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر الى الاصنام
وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق
الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي بالكسر
والفتح وقرئ جذاذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه
غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم
وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا
فسئلوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون
اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك
صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق
من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع
علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من
يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم
فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا
قلت اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم
في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم

معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما
لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها ... ما حكم الفعلين
بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما ... هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو
يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما سمع
واما الثاني فليس كذلك ... ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا
محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين
الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى منهم ومنظر
ما معنى الاستعلاء في على ... هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه
في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون
عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود
واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف
هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه
ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر
عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي
يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد
كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا
وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام
حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من
زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه
لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية

لما يقود الى تجويز مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من
حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم
هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع
فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ
بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين
قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان
هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم
او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة
على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا
مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا
بالتشديد ونكسوا على لفظ ما يسم فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم
قراءة رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه
متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد
وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم
ولآلهتكم هذا التافف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا
قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له
مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه حين عجزوا
عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي الله عنه
رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه
ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى
ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم [illegible]

ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق
مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا و
سلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة
فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس
انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو
في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة
وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا
المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا
فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها و
لهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في
ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى
ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم
منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته
ببردها كيف بردت النار وهي نار نزع الله عنها طبعها
الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال
كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها
ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل قوله على ابرهيم واردوا
ان يكيدوه ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوا بالجدال
فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات
الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش

الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب
بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس
روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد
وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال
يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور
هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان
الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهتدي اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما
حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اي
في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق
اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه الكرب الطوفان وما كان فيه
من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما النفش الانتشار بالليل وجمع
الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة
والفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو
ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع
الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب
الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء
ما قضيت وامضى الحكم بذلك احكما بوحي ام باجتهاد قيل
حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا
جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب ما وجه كل واحد من الحكو
متين اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى
المجني عليه كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى

بذلك او بغيريه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او بغيره ولعل قيمة الغنم كانت على قدر
النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء
ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب
الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه
بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فلو وقعت هذه
الواقعة في شريعتنا ما حكمها ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه
ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب
الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع
سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن
حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير
اما معطوف على الجبال واما مفعول معه لم قدمت الجبال على الطير
لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير
حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير
معه حيث سار كيف تنطق الجبال وتسبح بان يخلق الله فيها
الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير
بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل
هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل ذلك بالانبياء اللبوس اللباس قال البس
لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها
داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد
وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود
او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف
على الجبال وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق

بينهما كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة
يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء
في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية
الى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على
حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا
اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن
وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد
منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي ناداه باني مسني وقرئ بالكسر على اضمار القول
او لتضمن النداء معناه الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض
وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما
يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت
لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها
ألطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملاء بيتها حبا كان ايوب
عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط
عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم
وخمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب
ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة
وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت
له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة
فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله
عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة
وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم

او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين و انا نذكرهم بالاحسان ليصبروا
كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل
زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من
الانبياء ذوا اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو
النون محمد واحمد النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم
يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا
غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يبر وينتظر الاذن يصابر
من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم
بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا قرئ
نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر
للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة
وعن ابن عباس انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرأ هذه
الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة
والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا ولن يكون
من باب التمثيل بمعنى فكانت حالة ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته
قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان
ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان
وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب
للمؤمنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة والمتكاثفة في بطن الحوت كقوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات
وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه

فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مكروب يدعوا بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره
على نفسه بالظلم ننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته جعله فعل وقال نجي
النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف
بارد التعسف سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد
امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني
فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها
وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد
انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم
في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان
ونحو قوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله
وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل
الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين
الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل
خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ راسه احصنت فرجها احصانا كليا من
الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا نفخ الروح
في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي
احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل
في احياء مريم معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها
ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز
ان يراد وفعلنا النفخ في بيت فلان مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل صلوات
الله عليه وسلامه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها
هلا قيل آيتين وهي ولادتها اياه من غير فحل الآية المثلى وهل اشارة الى

الإسلام أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار
إليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون ونصب الحسن أمتكم على
البدل من هذه ورفع أمة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للثاني مبتدأ
والخطاب للناس كافة والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة
الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم
ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم
فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة
إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر
مثل في إعطائه إذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا
نكفر سعيه وإنا له كاتبون أي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما
نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله عز وعلا إن الله حرمهما على الكافرين أي منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم
وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى أهلكناها عزمنا على إهلاكها
أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة ومجاز
الآية أن قوما عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينيبوا إلى أن تقوم
القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني
أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ
إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على
قرية أهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور
غير المكفور ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح
يصح حملها على هذا أي لأنهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الأول بم تعلقت
حتى واقعة غاية له وأية الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لأن امتناع

رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي
الجملة من الشرط والجزاء أعني إذا وما في حيزها حذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو
سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها
وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة
منها يأجوج ومأجوج وهم راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم يأجوج
ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الأرض وقرأ ابن عباس
من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين
ونسل وعسل أسرع وإذا هي إذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد
الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء
بالشرط فيتأكد ولو قيل إذ هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير
مبهم توضحه الأبصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا يا ويلنا متعلق
بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا ما
تعبدون من دون الله يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم
واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس إليهم
فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله حتى أفحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون
من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم
فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة
أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح (حي من خزاعة) عبدوا الملائكة فقال
صلى الله عليه بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت
لهم الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة لم قرنوا بآلهتهم قلت
لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم بسببهم والنظر

الموجب العذاب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة
وينتفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض
إليهم منهم إذا عنيت بما تعبدون الأصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت
إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزافرين
إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس والحصب المحصوب به أي يحصب
بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب
وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا
يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث
الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة يروى أن عليا
رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون
حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم
من أحزن والفزع الأكبر قيل النفخة الأخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق
على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أي تستقبلهم الملائكة مهنئين
على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل العامل في يوم
لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم وقرئ نطوي السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن
العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى الطومار للكتابة
أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب
ومن جمع فمعناه للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي
كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه والكتاب
على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده
والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالابتداء

في تناول القدرة لهما على السواء وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت
أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم
ما بال خلق منكرا هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته
ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن
الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة
أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال
من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لأن قوله نعيده عدة
للإعادة إنا كنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبي رحمه الله زبور داود والذكر
التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح أي
يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار لقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها قال موسى لقوله استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة
محمد صلى الله عليه الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية أرسل صلى الله عليه رحمة للعالمين لأنه
جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما أتي من عند نفسه حيث
ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم
ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة
في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث
حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت
بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على
حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية
لأن إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد وإنما إلهكم إله واحد
بمنزلة إنما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله

مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه وعن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة وقرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم كل نبي ذكر اسمه في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فيه ان ما اذا كانت
كلمة موصولة تكتب
مفصولة لا موصولة
ع

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الايتين نزلتا بالليل في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة

لم قيل مرضعة دون مرضع

المرضعة هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل ما في بطنها لغير تمام وترى وترى بالضم من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله

هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله
وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الإفراد لأن الرؤية أولا علقت بالزلزلة
فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد
أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحرث وكان
جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء
من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من
الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان
ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع
في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا لم تثمر له
ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء
والبدع والحشوية المتلقبين بالأئمة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا
أوليا بل هم أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال
تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم
عنى من قال ويا رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستوى نهج ولو قرأوا في اللوح
ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته لمجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك
في سماواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل أي
كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر
فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما
كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن
كتب فيه معنى القول المحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد
كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة
الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء يقال خلق

بساط الطعام
خلطه

السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن
الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو
على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم
وتمامهم ونقصانهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة
ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما
تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على إعادة ما أبدأه بل
هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين
إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به
الوصف وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون
والنصب ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون
وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام
ما يشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة
أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته
والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج
لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى
يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم
لتبلغوا أشدكم ووحد لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد
منكم طفلا الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل
لها واحد كالأسدة والقتود وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ
ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى
في أوان طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على
أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى

ويقرّ م

ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في
شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسئل عنه من ساعته يقول لك من هذا
فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرئ ابو عمرو العمر بسكون الميم
الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها
مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات
وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك
الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو
ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور
وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد
عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت ساير الاقاصيص
وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى
الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن
وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد
ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع بالعين المهمله
تعطفه ليضل علة للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها ما كان غرضه في جداله
الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال
من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني
به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار
واثابته الصالحين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر
فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب
قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته

غلاما

غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم
لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احدهما ذهاب ما اصيب
به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا
والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير تنويه وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف استعير الضلال البعيد من
ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله الضرر والنفع
منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض اذا حصل المعنى
ذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد
فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر
الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر
يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره
بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير
لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا الكلام قد دخله اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله
يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه ويستفرغ مجهوده
في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء
بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي
يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل
للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا مذهب

ماليس م

لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه
وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد
الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت
أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال
إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر
واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده
مرزوقا أي ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات ولأن الله يهدي به
الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك
مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم
جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة
للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل
يفصل بينهم يقضي أي بين المؤمنين والكافرين وادخلت إن على كل واحد من جزئي
الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير إن الخليفة سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها
سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو
السجود الذي كل خضوع دونه فما تصنع بقوله وكثير من الناس وما فيه
من الاعتراضين أحدهما أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من
الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة لا انظم كثيرا في المفردات
المناسبة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما ارتفع بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد
أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر
بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة
على معنيين مختلفين أو ارتفع على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله
يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس

الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين
بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير
وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حُقَّ بالضم وقرئ حقا أي حق عليه
العذاب حقا ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره
أو فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام
إنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل
العاملين واعتقاد المعتقدين الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه
قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو
اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل
الأديان الستة في ربهم أي في دينه وصفاته وروي أن أهل الكتاب
قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم
تعرفون كتابنا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين
كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى إن الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية
خصمان عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا
على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على
كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم
من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذا
بتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة أي إذا صب الحميم على
رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم
كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم والمقامع
السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها

وقرأ الأعمش ردوا فيها والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن
يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم
بلهيبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا
وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم
الإهلاك يحلون وعن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب
على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا
ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كأدل ولولٍ كأدلٍ فيمن جر ولولؤٍ
وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس وهدوا ألهمهم الله أن يقولوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهدوا إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش
المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه
والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله أي الصدود
منهم مستمر دائم للناس أي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد
وتاني وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد
بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها وعند الشافعي لا يمتنع
ذلك وقد حاور إسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا من ديارهم وقال أنسب
الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه أو غير
مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني
مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة
مفعول ثان الإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر وقوله بإلحاد بظلم حالان
مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا
ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب أليم يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط
نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الإلحاد في الحرم
منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة

لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم
فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه
أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه
بإلحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد إلحاده بظلم أراد إلحادا فيه فأضافه على الاتساع
في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد إلحاده بظلم أراد إلحادا فيه فأضافه على الاتساع
في الظرف لمكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر إن محذوف لدلالة جواب
الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم
وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك وإذ واذكر حين جعلنا لإبرهيم مكان البيت مباءة أي
مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فأعلم الله إبرهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه
على أسه القديم وأن هي المفسرة   كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير
البيت تفسيرا للتبوية   كانت التبوية مقصودة من أجل العبادة فكأنه
قيل تعبدنا إبرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الأصنام والأوثان
والأقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة وأذن في الناس ناد
فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج أن يقول حجوا أو عليكم بالحج وروي
أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب
لرسول الله أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل
ضامر حال معطوفة على حال كأنه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر
لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود
معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعيق ونكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة
دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان
يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد

والمعيق قلب العميق

ومن تلك الخصائص وكني عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر
اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر
اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم
ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة
الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه
هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل
والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون
من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع
ومن ثمه استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود
انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه
وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير
الذي اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم
مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة
وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف
الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن
الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن
مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم
عتاق الخيل والطير   قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع   ما قصد التسلط
على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد
التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان
ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال
هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله بهذه الصفة من مناسك

وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن
زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى
يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ
والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه
وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها
الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا
كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم
اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر
باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم
الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك
من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال
فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا
شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى
الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون
بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة
ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه
انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي
عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس
الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان
الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا
حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله
عليه انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله

عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل
قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ويجوز
في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح
البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك
بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن
واصلهما تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان
يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر
عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله
ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر رضي الله يسوق البدن
مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها
واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب
اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب
لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء الى اجل
مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت
للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد
الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم

المزعة قطعة لحم وجمعها مزع

هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في
حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه
واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها
الى البيت العتيق يأباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه
التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله
اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه
باشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل
هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على
تقدير النون وقرا ابن مسعود رض والمقيمين الصلاة على الاصل البدن جمع بدنة
سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه الحق البقر
بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت
البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل
وعليه تدل الآية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق
بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر
قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه
تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه
خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى
بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا
وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب واذكر
اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم

على ثلاث وتنصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على
ثلاث وقرئ صوافن اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا
من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها
بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم
الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته
قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سوال
من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسوال وقرا الحسن والمعتري
وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير
يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن
مثل التسخير الذي راوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها
ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق
ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما
يتابد من الابل شاهدا وعبرة اي لن يصيب رضا الله واللحوم المتصدق بها
ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى
المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط
التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع
فاذا لم يرعوا ذلك لم يغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ
لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك
فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام
دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر
وعدي تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين

آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة
في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه
يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجي اقوى وابلغ
اذن ويقاتلون قرئ على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن
لهم في القتال فحذف الماذون فيه لدلالة يقاتلون عليه كان مشركوا مكة يوذونهم
اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه
الاية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن
لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر وارد على
سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين امنوا موذن بمثل هذه العدة
ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد
الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله
هل تنقمون منا الا ان امنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه
المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة
في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجدا ولغلب المشركون في امة محمد
عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى
فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره اي ينصر دينه
واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة
المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون
بامر الدين وعن عثمان رض هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم

قبل أن يخدلوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن
الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك
للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وقيل الذين منصوب بدل من قوله
من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى
حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعد من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسوله صلى الله عليه
تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم
أسوة
لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى
لأن موسى ما كذبه
قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر
تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
والنكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا
كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من
خوى النجم إذا سقط والخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل
وقوله على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها
أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة
أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية
وهي على عروشها أي قائمة مظلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض
فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة فإن
قلت ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية
الأولى في محل
النصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس
له محل قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها
الآلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها والمشيد المجصص
أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه
عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه

وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب
وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر
اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا
ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله
وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع
من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا
ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء
أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فإنها
الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز
أن يكون ضميرا مبهما تفسيره الأبصار وفي تعمى راجع إليه والمعنى أن أبصارهم
صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم ولا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى
بالإضافة إلى عمى القلوب
أي فائدة في ذكر الصدور
الذي قد تعورف
واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها
واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة
العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل
تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف
ولكنه للسانك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل المضاء هو
هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا
مني ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل
أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد
من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين
وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا
عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام

عذابه في طول سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة اوكان ذلك اليوم الواحد لشدة
عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال
وقرئ يعدون بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين فد انظرتهم
حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والي حكمي لم كانت الاولى
معطوفة بالفاء وهذه بالواو الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما
هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو واعني قوله ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه اوافسده بسعيه
وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه
قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها
سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين اومسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم كان القياس ان يقال
انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعد الحديث مسوق الى المشركين
ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال
وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على
تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه انه سئل عن الانبياء فقال مائة
الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما
غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه
والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله
والسبب في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه لما اعرض عنه قومه
وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم
ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا
الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت
عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقراها فلما

بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس
اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة
فتنبه عليه وقيل نبهه جبرئيل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس
فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان
من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا و
ايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا
مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم مثل ما القى في امنيتك ارادة
امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يبتلي عباده بما شاء من صنوف المحن
وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل
تمني قراءه وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته
قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ
ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والذين في قلوبهم
مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين
يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير
قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق
من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين
بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين
الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد
الذين امنوا بالتنوين الضمير في مرية منه للقران اوللرسول اليوم العقيم يوم
بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن
عقم لم يلدن اولان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب
بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا

التهجير الكلمة التي فيها المحن

ولم تلقح شجراً او قيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة
وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه
قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير التنوين
في يومئذ عن اي جملة ينوب تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد ان
يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلاً منه واحساناً والله عليم بدرجات العاملين
ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب
رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد
معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته
له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض
للملابسة كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع المعاقب مبعوث
من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم
ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين
لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا
اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي
لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه
من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو
ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة
لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات
قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار
ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف
وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر
تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا

بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص
من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون
بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق
الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق
الثابت الالهية وان كل ما يدعى الهاً دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شاناً
واكبر سلطاناً قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت
هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع لنكتة فيه
وهي افادة بقاء اثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا
كذا فاروح واغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان
قلت فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو
عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الا
خضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته
فانت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر
وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير
اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم
ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر
وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة
ان تقع الا بمشيئته احياكم بعد ان كنتم جماداً تراباً ونطفة وعلقة ومضغة
لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم هو نهي لرسول الله اي لا تلتفت الى قولهم
ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين
وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن
سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون
ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك

فلانك اي لا تضادنه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر
الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون
ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت للرسول الله بما يهيج حميته و
يلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين
فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه
وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته
انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة لم جاءت نظيرة هذه الآية
معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها
من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد
عن معناها فلم تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون
بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من
الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله
للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان
يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث
في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه
عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلقه بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا
في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا
حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب
مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ
يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش قرئ النار بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف
كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل
من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر
بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتداء ووعدها

خبرا

خبرا او ان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد فان قلت الذي جاء به ليس
بمثل فكيف سماه مثلا قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل
الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده ههنا الدلالة على ان خلق الذباب مستحيل مناف
لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا ما محل ولو اجتمعوا له النصب على
الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم
عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان
الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على
المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل
منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا
لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل
الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله
ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو
حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو
جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها
بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا
باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا
له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه
من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر
ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر
لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل

مما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله للذكر شأن
ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فبين ثم دعا المؤمنين أولا
إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو
ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا
ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة
الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا كله وأنتم راجعون للفلاح
طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رض قال قلت
يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله
بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج
وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرن السجود
بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا أمر بالغزو أو بمجاهدة
النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبي صلى الله عليه أنه رجع من بعض غزواته
فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر في الله أي في ذات الله ومن أجله يقال
هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فما وجه هذه
الإضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله
الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث
أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ونصرته وما جعل عليكم
في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بأنواع الرخص ووسع بالكفارات
والديات والأروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد
هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها
كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه

أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم إبراهيم كقولك الحمد لله الحميد لم يكن
إبراهيم أبا للأمة كلها هو أبو رسول الله صلى الله عليه فكان أبا لأمته لأن
أمة الرسول في حكم أولاده هو يرجع إلى الله وقيل إلى إبراهيم وتشهد للقول الأول
قراءة أبي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي
القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم أنه
قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسول قد بلغتهم وإذ قد خصكم بهذه الكرامة
والأثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة
اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل
هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه و
الفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة
ويقال أفلحه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أُفلح على البناء للمفعول
وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير وعنه أفلح بضمة بغير
واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو أن الأطباء كان حولي وكان مع الأطباء الأساة
ما المؤمن هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين
أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه
صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلاة خشية القلب
وإلباد البصر عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه أنه كان
يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء
إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن الدنيا
وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى

كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه (ووضع اليد على الخاصرة) ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث

لم اضيفت الصلاة اليهم

لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها

اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم تمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف

يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى طلبت منك الا فعلك

هلا قيل من ملكت

لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه

هل فيه دليل على تحريم المتعة

لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لاماناتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلاتهم

كيف كرر ذكر الصلاة اولا واخرا

ثم ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة

وجزالة لا تراهم لا يخفى على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة مريم أنت الفرد وس علما تأويل
الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر وروي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان السلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر
وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين
ما الفرق بين من ومن — الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الأوثان
ما معنى جعلنا الإنسان نطفة — معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا
طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي
وأحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام
وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة
خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا
وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل
عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف
ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به أبو حنيفة رضي الله عنه فيمن غصب بيضة فأفرخت
عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى
أمره في قدرته وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك في كل المميز للدلالة
الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي
عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه لما بلغ قوله خلقا آخر قال تبارك الله أحسن
الخالقين وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل
إملائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا
نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون
والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث

تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله
وضائق به صدرك جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة
ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع
فإن قلت لا حياة الإحياءة الإنشاء وحياة البعث — ليس في ذكر الحياتين نفي
الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا
على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء
والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة والطرائق السموات
لأنه طورقت بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثل فهو طريقة
أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب
فيها مسيرها أراد بالخلق السموات كأنه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها
غافلين وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس
وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع
منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من
المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم
فأسكناه في الأرض كقوله فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في
الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ
ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها من عين واحدة
من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع
للناس في أصناف معايشهم وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته
وقوله على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه
من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب
وأنه لا يتعايا عليه شيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم
إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة

في الماء ونقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر خص هذه الانواع
الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان
ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا
وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ
جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها
ومن صنعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل
رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون
وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي
ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور
الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف
ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء
فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه
للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل
هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش
سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت
وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير. رايت ذوي
الحاجات حول بيوتهم . قطينا لهم حتى اذا انبت البقل . والثاني ان مفعوله
محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح
الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود رضي الله تخرج الدهن وصبغ
الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم
تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ
ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان
ووصفها الله بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرئ نسقيكم بتاء

مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل
وغير ذلك كما يتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل
الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها
بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة . سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى
اسم ناقة ذي الرمة
التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي
هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا
فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل
عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلم
او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي
يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة
ببشر وقد رضوا الالهية لحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا
في فترة متطاولة وتكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق
بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف
جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون
او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان
حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه رب انصرني
باهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني
كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه
حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا
كأن معه من الله حفاظا يكلأونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد
عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي امرنا كيف تصنع

ونعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر روي انه قيل لنوح
او مثل صدر الطائر
عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع
الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار
الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب
كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين
وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف
موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه
ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول
هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة
اسم عقبة
من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق
والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة
روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين
واثنين تأكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع
قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا
لا علي ولا لي   لم نهاهم عن الدعاء لهم بالنجاة   لما تضمنته الآية
من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم
والمفسدة في استبقائهم وبعد ان امل لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا
ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ
في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه
بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض
عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان

يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو قوله وانت خير المنزلين
هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى
فاذا استويتم   لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من
الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا
يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله
ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من
يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قرنا آخرين هم
عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الا
عراف وسورة هود والشعراء   حق ارسل ان يعدى بالى
كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة
وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا
فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا   لم يعد
بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا
للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث
على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي
قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله   ذكر مقال قوم هود
في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملأ الذين كفروا
من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وها هنا مع الواو
فاي فرق بينهما   الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال
قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه

على ما قال قومه فقيل له قالوا كيف ومعناه انه اجتمع في المقول هذا الحق وهذا
الباطل وتشابه ما هما بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى
من مثلكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذن واقع في جزاء الشرط وجواب
للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم ثني انكم للتوكيد
من قومهم وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن
الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم
اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا
متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود
ايعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون
على لفظ الوقف   لما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات
كما ارتفع في قوله   فهيهات هيهات العقيق واهله   فما هذه اللام .... قال
الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة
المصدر وفيه وجه اخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت
بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم
ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي
موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب
تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي
في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها في الجنس نموت
ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن اخر ثم قالوا ما هو
الا رجل مفتر على الله فيما يدعيه من انه رسول وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين
قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب
وما توكيد لمعنى قلته الملة والصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق

بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق
اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي
واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد يشدد في
قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل   بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر
موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا
يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا
ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون
قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ
تترا بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقوا اي متواترين رسلنا بالبينات
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل
والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث
رسول الله ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة وهي ما يتحدث
به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هاهنا   ما المراد بالسلطان المبين
يجوز ان تراد العصا لانها كانت ام ايات موسى واولاها وقد تعلقت
بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما وكونهما حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء
جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى
وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين
متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على
الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين
فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم

اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه
كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب
قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم
يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع
الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق
فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
لو قيل آيتين هل كان له وجه   نعم لان مريم ولدت من غير مسيس
وعيسى روح من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان
آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية
ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ
ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايلياء ارض
بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن
كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين فانها الربوة التي ذكرها
الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة
ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه
من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو
ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه
من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف
والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل
رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له
جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات

ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي
لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ
العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه على
عقيب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا
الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما
وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما
واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى
ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع
زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا استعيرت
من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق
هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على
الحق الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون من جهلهم و
عمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب
في غمرة لعب   وعن علي رض في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلى رسوله
صلى الله عليه بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرئ يمدهم
ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير
الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا
لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخير
وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء
الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم
اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج
ام مسارعة في الخير   اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن
فيه ضميره   هو محذوف وتقديره نسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من

عزم الأمور إلى أن ذكر منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالتباس يؤتون
ما آتوا يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله وعائشة يأتون ما أتوا أي
يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق
ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي
يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه يسارعون في الخيرات
يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها
والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين
لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن
طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون
في الخيرات لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها
أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز
أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله أنت لها أحمد من
بين البشر يعني أن هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع
والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده
بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون
منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم
منهم أحدا أو أراد أن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة
هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب
فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته
بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا أي مما عليه هؤلاء الموصوفون
من المؤمنين ولهم أعمال متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون
هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب

يستفرغ خ

أي حتى إذا أخذنا مترفيهم

وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم
بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام
المحترقة والقد والأولاد والجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات القيام
لربه أي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون
ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق
أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم
بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع
إلى آياتي إلا أنه ذكر لأنها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا
ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا
وأنتم مستكبرون بسببه أو يتعلق الباء بسامرا أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن
فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن
وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه أو تهجرون والسامر
نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر
في منطقه إذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر
إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه
الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروه
واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليخافوا عند
تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الآمن
آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم إسمعيل
وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه لا تسبوا الحرث بن كعب
ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه
من شيء فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما وروي في أن ضبة كان مسلما وكان

على شريطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم و
امانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش في الخطبة التي
خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد لكن بزغلبهما منادونا الجنة الجنون وكانوا
يعلمون انه بري منها وانه ارجحهم عقلا وانقبهم فهما ولكنه جاءهم بما خالف
شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع
الباطل فلم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا
الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر

اى اخلدوا [illegible]

قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق كان فيهم من يترك الايمان
به انفة واستنكافا من توبيخ قومه ولئن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق
كما يحكى عن ابي طالب يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة و
يخفى اسلام ابي طالب دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت
ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم
فلا يبقى له بعد قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان
الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي
لما كان الها ولكن شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم
اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي
كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
وقرئ بذكراهم قرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه
الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما
تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك
خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من

قرأ خرجا فخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير
من عطاء الخالق خير قد الزمتهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم
بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق
بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه
الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم
ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون
من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال
من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق
من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم
من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي
عادلون عن الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من
لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق
باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز
جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء
بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم
برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة
رسول الله والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا
التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف
وما جرى عليهم يوم بدر من صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد
ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل
وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم و
اشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع
فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون

ويوم الساعة يبلسوا المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس
من كل خير وقيل السكوت مع التحير   ما وزن استكان قلت استفعل
من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال
ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح
هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون   لان المعنى محناهم
فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا و
يتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرى فتحنا انما خص السمع
والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق
بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله
ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها
كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا
يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم وان لا يجعل له ند
وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذراكم خلقكم
وبثكم بالتناسل واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل
والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرى يعقلون
بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار
جمع سطر قال رؤبة   اني واسطار سطرن سطرا   وهي ما كتبه الاولون
مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان
عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوه
مثل هذا الظاهر البين وقرى تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق
وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرى الاول باللام لا غير
والآخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير

اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن
هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت
في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا
على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد
منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان
والهوى وقرى اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال و
الشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله
بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل
واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا
ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز الممالك وللتغالب
فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي   اذن لا تدخل الا على
كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه
شرط ولا سؤال سائل   الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما
حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه
المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب
بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف ما والنون مؤكدتان اي
ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة
فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له
في امته نقمة ولم يخبره افي حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا
الدعاء   كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى يطلب ان لا يجعله معهم   يجوز ان يسال العبد ربه ما علم
الله يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتوا
ضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه اذا قام من مجلسه سبعين مرة

أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر رضي الله عنه وليتكم ولست
بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ إما ترئنهم بالهمز
كافرئ فإما ترين ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط
وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون
منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه
هذا الإنكار هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع
بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى
إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة
بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس هي شهادة
أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه وعن
الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن
المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه
من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر
على جزائهم الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى
أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب
حثا لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم
بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا
حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى متعلق بيصفون
أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض
والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه
على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله
فإن شئت حرمت النساء سواكم وقوله ألا فارحموني يا إله محمد إذا أيقن
بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح

فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي أعمل صالحا في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي
بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس يريد أؤسس أسا
وأبني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه إذا عاين المؤمن
الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله
وأما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل
صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة
عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه ومن ورائهم
برزخ والضمير للجماعة أي أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث
وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة
يوم البعث إلا إلى الآخرة الصور بفتح الواو وعن الحسن والصور بالكسر
والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ولا أنساب
يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون
التواصل بينهم والتآلف بالأعمال فتلغو الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد
بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفر المرء من أخيه
وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بإدغام
التاء في السين فذا نقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما فقوله
وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما
فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره ألف سنة ففيه أزمنة
وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثاني أن التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت
الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون
وهي الموزونات من الأعمال أي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله

فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل
للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا
محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا و
الكلوح ان يتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما ترى الروس المشوية وعن
مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج
من التنور فغشي عليه ثلثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال تشويه
النار فتقلص العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ
كلحون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة
سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا بفتح الشين
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما
تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع
العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد
ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار نادوا
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون
اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها انه في حرف ابي
انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر
الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن
الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي
تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة

وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين
حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني
فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر استيناف اي قد فازوا حيث
صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم فوزهم
قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام
ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض روساء
اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من
عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة
اليها ولانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن
وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها
وقرئ فاسال العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه
يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها لم هي فسل
من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون
اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم
يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها
فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين
عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم
يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب
المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا
على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق
الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
وصف العرش بالكريم لتنزل الرحمة منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم

الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو
العرش المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله
يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز
أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان
منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه
أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدعو في معنى الجمع وكذلك حسابه
أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد
في خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله
عليه من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه
عند نزول ملك الموت وروي أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل
بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه إذا أنزل عليه الوحي يسمع عنده دوي
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا
ثم قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون
حتى ختم العشر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة خبر مبتدأ محذوف وأنزلناها صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف
أي فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لأنزلناها
لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها
صفة ومعنى فرضناها فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها
واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض
شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف

ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند
الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما ويجوز أن
يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه
وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ
بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل
الأمر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه و
رأسه فإن قلت أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم قلت
بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبي
حنيفة رضي الله الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول
إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي رحمه الله الإسلام ليس بشرط
لما روي أن رسول الله رجم يهوديين وحجة أبي حنيفة قوله عليه السلام من أشرك
بالله فليس بمحصن فإن قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لأن
قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية
والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة
والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك
وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى أن الواجب
على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين
والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه أسوة في ذلك حيث قال
سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا
الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول
لعبادك فيقال له أنت أرحم به مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطا

يقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رض
اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود
رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجردة ليس عليه الا ازار
ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه
والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة
تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة
رضي الله عنه على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب
التغريب فقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى
عن الصحابة رضي الله عنهم انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية
او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب
الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة خمسين
جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن
في البيوت وقوله فآذوهما وقيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى
عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون
حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس رض
في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة
وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد
الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت
بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنه الله بالشرك
وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنى انه
كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه يا معشر الناس اتقوا الزنى
فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب
البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة

وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف
وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرافة على المجلود
فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد
والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين
صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق
الخبيث الذي من شانه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي
على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة
المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب
فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية و
رغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور لما فيه من
التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد
ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب
وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة
موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
فنزلت وعن عائشة رض ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا
باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن
النبي صلى الله عليه انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت
في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية
والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ
قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق
بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب
في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
وحرم ذلك على المؤمنين

قوله والثانية اداؤه الى قولك الزاني الخ وفساده
ان الغرض النهي مبالغة لا مجرد الاخبار فيكون
المعنى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية وبالعكس
كما ذكره القاضي قدس سره وهو ظاهر الفساد
وهو المراد من قول صاحب التقريب
لانه اذ قد يزني الزاني بغير زانية بعلم احدهما بالزنا
وبجهل الآخر اي كونه لم يقيد لزم ان لا يحرم
هذه الصورة والحكم ليس كذلك وليس
غرضه انه يلزم الكذب في الكلام فافهم
كشف

ويكون في الفواحش ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب للزناة وهما معنيان مختلفان
فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولاً ثم قدم عليها ثانياً قلت سيقت تلك
الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلاً واولاً في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن
عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كان رحمك الله
ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن
ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصونون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون
بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنى شيئان احدهما ذكر المحصنات
عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان
والقذف بالزنى ان يقول الحر العاقل البالغ المحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن الزاني
يا ابن الزانية يا ولد الزنى لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنى يقول يا آكل الربوا
يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير
ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة
وتسعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت
كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في
مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين
فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي
فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع
عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب
الزنى ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت اذا لم يكن المقذوف

محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد
ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل
الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان
تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف
فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة
رضه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة وكلاهما متمسك بالآية عقيب الجلد
على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك
هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله
بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان
الله غفور رحيم والشافعي رضه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة
كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه ان يكون منصوبا لانه عن موجب
والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل
ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردو
دين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة رضه كان القذف
مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعباون بسب الكفار لانهم
شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار
ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان
يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد
ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله

قبل ثبات المحرم فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو خالص حق الله ولهذا لم يصح ان
يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة رض لا يورث لقوله عم
الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل
نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رض قاذف امراته
اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح
اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنى وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك
تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبية
وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنى ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني
به من الزنى وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد
حتى تشهد ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله
وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك
في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عنده
واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند
الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا
يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك وحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر
والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان
يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه على
المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته
رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت

سكت على غيظ والى ان يجي باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح
وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراك قال شر وجدت على بطن امراتي
خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت
به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام
بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنها فنزلت ولاعن
بينهما وقال رسول الله عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها امين
وقال القوم امين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك
من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب
اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج
الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله
لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن
بالياء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب
لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف
الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله
على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان لعنة الله وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب
وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة
بان تخمس بغضب الله **قلت** تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها
واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة
فالرجم اهون عليك من غضب الله الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه
دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون
من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو
القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة
الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي

راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله
لامعانه في عداوة رسول الله عليه السلام وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة
اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه
والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا
منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وابو بكر
وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم
لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها
مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله
عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة
الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام واداب
لا تخفى على متاملها بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا
انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت
ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك
فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب
الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح
بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة
على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه ولن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن
الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على
حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من

من يسمع ويسكت ويشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق
والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن
لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا
توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو
ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف
امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق
حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود
غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها
الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب
على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وخاض اذ ظرف لمسكم
او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله
فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال
في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه
من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رض وعن سفيان سمعت
امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود **فان قلت** ما معنى
قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم **قلت** معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب
فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير
ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني
على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله
نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك
حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث

استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا
وقلتم قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها
فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت فأي فائدة في تقديم
الظرف حتى أوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول
ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم فإن قلت فما
معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح
أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحو ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وسبحانك
للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل في ذلك أن يسبح الله
عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون
حرمة نبيه فاجرة فإن قلت كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم
يجز أن تكون فاجرة قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب
أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن
أعظم المنفرات أي كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه
وابدهم ما داموا أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا
وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصادق عن كل مقبح
ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب
الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي
الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها
وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا
وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد
بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر
وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها
وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذف ثمة وفي هذا التكرير

مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء
والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها أي
أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات
بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم إذا محصوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم
وإخلاصهم من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية وقيل من قولهم ما ألوت
جهدا إذا لم يدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا
على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن
كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا
بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت
في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رض وكان فقيرا من فقراء
المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكفى به
داعيا إلى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه
قرأها على أبي بكر رض فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته وقال
والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات
ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم الغافلات السليمات الصدور النقيات
القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن
الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة
ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها وكذلك البله من النساء في قوله أكثر أهل
الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع
صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل
قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رض ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة
بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك

واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد
منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة
ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم
وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب
الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل
واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه
في الفظاعة وما ذلك الا لامر وعن ابن عباس رض انه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا
ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم
لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد
وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ
مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات
العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات
فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه
على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن
اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل
سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وبالغ
في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله وان
يخصص بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن
منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت
ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان
كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان

اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الذم
وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق البين
اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه
صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب
محارمه اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون
منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة
الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام
جار مجرى المثل لعائشة رض وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة
والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤون مما يقول
اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن
الخباث والخباث للخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا
مثله في واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رض لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن
امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله ان
يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري
ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون
عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل
عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستأنسوا
فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان
الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا
اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع
موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف
استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال

هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا
أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون
من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان وعن أبي أيوب الأنصاري قلنا يا رسول الله
ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن أهل
البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع
وعن أبي موسى الأشعري أنه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع
وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الاستئذان ثلاث واستأذن رجل على
رسول الله صلى الله عليه فقال أألج فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي
إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها
الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا
غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته
في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن الأجمل وكم من باب من أبواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان
من ذلك بينا أنت في بيتك إذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية
(بالعين المهملة في نسخة الأصل)
من تحايا إسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن
أين الأذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول
على هذه الرواية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس
وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية
وفي قراءة أبي حتى تستأذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية
والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه
دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي أن
رجلا قال للنبي صلى الله عليه أأستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري

أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن
لعلكم تذكرون أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا
بما أمرتم به في باب الاستئذان ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من الآذنين فلا تدخلوها
واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم
فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع
الدامر على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف
على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد
عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب
والتغلب فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب
ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب
الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهي
عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب
بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب
من أكثر الناس وعن أبي عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني
أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون فإن قلت هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم
بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد أن جزم النهي عن
الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة
في كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن فإن قلت فإذا عرض
أمر في دار من حريق أو هجوم سارق وظهور منكر يجب إنكاره قلت
ذلك مستثنى بالدليل أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون
وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب

الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات
والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الرحال والسلع والشري والبيع ويروى ان ابا بكر رضه قال
يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع
التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به
على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه **فان قلت** كيف دخلت
في غض البصر دون حفظ الفرج **قلت** دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى
ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن
وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى
الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر
الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء اليها الا ما احل حفظها عن
الابداء وعن ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنى الا هذا فانه اراد به
الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون
بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة
وسكون النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى
ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة
الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم
عن ام سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم
وذلك بعد ان امر بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا
الستما تبصرانه **فان قلت** لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج **قلت** لان النظر
بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة

ما تزينت به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل
والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة
والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها
للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل
النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والصدر والاذن فنهى
عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر
اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم
في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها
ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها   نعم   اليس
موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل
على ما يحاذي ما تحت السرة   الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر
الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب
فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى
القراميل واقعة عليه **فان قلت** ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار
الذي تلابسه الزينة منه **قلت** الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة
الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في
حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة و
الخضاب بالحناء **فان قلت** لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة **قلت** لان
سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة
الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في
الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر
منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في

في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى
مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن
مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن
فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها ويجوز ان يراد بالجيوب
الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها
كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت نساء
خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل
فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ
جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات
لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى
بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن
سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا
وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في
القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور
فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان
او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت
منه فقال هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة
رض لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف
امساكهم **فان قلت** روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه خصي فقبله **قلت**
لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب
من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة

لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن
غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر
على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به
الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر
على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات
وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال **قلت** سئل الشعبي
عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات
يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا راها الاب فربما
وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا
من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب
الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب
باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت
الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ
وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان
ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والا
ستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة **فان قلت** قد صحت التوبة بالاسلام
والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما يقوله العلماء
ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه
يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم
الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء
الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم
فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين او ثيبين

قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه
اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم
منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر
للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب
المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا إليه قوله عليه السلام
من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج فلم يتزوج فليس منا
وعنه إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا
تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر والأحاديث فيه عن رسول الله والآثار كثيرة وربما
كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه إذا أتى على أمتي
مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي
الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان
حلت العزبة
لم خص الصالحين ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم
ولأن الصالحين من الأرقاء الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة
والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما
المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح
ينبغي أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم
إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحو ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وإن خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب
معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني
وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال
عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل
رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في أول

أمري على ما علمت ووكلت بغيته لمن أرزق وألوا فلما رزقت بكرا ولي تراخت عن الفقر
قليلا ولما ولد الثاني زدت خيرا فلما تتابعوا تلك صب الله علي الخير صبا فأصبحت
إلى ما ترى والله واسع أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط
لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف
طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا أي استطاعة تزوج ويجوز
أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد
بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على
قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب
هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو
غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام
ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح
إلى أن يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل
يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب
والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم
فإن أديتها عتقت ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت
لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عندنا
حالا أو مؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود
وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك
شيئا فعقده حالا لا يمنع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز
عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر
بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها
وما يبني به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصف جاز لقلة
الجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه

لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن
الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رض هي عزمة
من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء
ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه
فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم
امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من
بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه **فان قلت** هل يحل لمولاه اذا
كان غنيا ان يأخذ ما تصدق به عليه **قلت** نعم وكذا اذا لم تف الصدقة بجميع
البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذ لانه لم يأخذ بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه
قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله
هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رض
يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رض انه كاتب عبدا له
يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن
به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عندنا
على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى **وآتوهم**
اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي
انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت
كانت اماء الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق
ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء
وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسوله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي **والبغاء**
مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم قوله ان اردن تحصنا **قلت** لان الاكراه لا يتأتى الا مع

سهمهم

ارادة التحصن وآمر المطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة
ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية
منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر **غفور رحيم** لهم
او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم
فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره
عليه في انها غير آثمة **قلت** لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه
بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم
من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **مبينات** هي الآيات
التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون
الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل
الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين
ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة
عائشة رض **وموعظة** ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا نظيره
قوله **الله نور السموات** مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره كقولك زيد كرم وجود ثم تقول
ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور
السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات
والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات
والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به **مثل نوره** اي
صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة **كمشكاة** كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار
غير النافذة **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب **في زجاجة** اراد قنديلا من زجاج شامي
ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة

وَالمريخ وسهيل ونحوها **توقد** هذا المصباح **من شجرة** أي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون
يعني رويت ذبالته بزيتها **مباركة** كثيرة المنافع أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك
فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابرهيم وعن النبي عليه السلام
عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور **لا شرقية**
ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى
ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها
قال رسول الله صلى الله عليه لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما
في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل
تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء
والوبيص وأنه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار **نور على نور** أي هذا الذي شبهت به
الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت وذلك
أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة
وكذلك الزيت وصفاؤه **يهدي الله** لهذا النور الثاقب **من يشاء من عباده** أي يوفق
لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة
الموصلة إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس
وضحوة النهار الشامس وعن علي رض نور السموات والأرض أي نشر فيها الحق وبثه
فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب مثل نور من آمن به
دري زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر **ودريء** منسوب إلى الدر أبيض متلألئ
ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه **ودريء** كمريق ودري كالسكينة
عن أبي زيد **وتوقد** يعني تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف وتوقد
بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب **ويمسه**
بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل **في بيوت** يتعلق بما قبله أي كمشكاة

الدامس المظلم

في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة
التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها
تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا
في بيوت والمراد بالإذن الأمر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها
وإذ يرفع ابرهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها
والرفع من قدرها وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر
فيها اسمه أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وأن يتلى فيها كتابه **وقرئ**
يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له وفيها بالغدو ورجال
مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر بالتاء وفتح
الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات
مسبحة والمراد ربهما كصيد عليه يومان والمراد وحشهما **والآصال** جمع أصل وهو
العشي والمعنى بأوقات الغدو أي بالغدوات وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل
يقال آصل كأظهر وأعتم **التجارة** صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري
للربح فإما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل
من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته ما لا
يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذلك مظنون وإما أن يسمى
الشراء تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه
له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لأهل الجلب تجر فلان في كذا إذا جلبه **التاء في إقام**
عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة
مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا **وتتقلب القلوب**
والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع
وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإما أن تتقلب أحوالها
وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الأبصار بعد أن

كانت

كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر **احسن ما عملوا**
اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم
ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة
الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض
والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب
الاستحقاق **السراب** ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على
وجه الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من (بتاء صح)
لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه
من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر
بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه
ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق
وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن
امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام **اللجي**
العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي **اخرج** ضمير الواقع فيه
لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله
قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور
ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد
شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء
وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات
متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه
فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف

الايمان والعمل او كونهما مترقبين الاثر الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ **سحاب ظلمات** وسحاب ظلمات برفع
سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى **صافات** يصففن اجنحتهن
في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا
يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد
العقلاء يهتدون اليها **يزجي** يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد
لا يرضاها **والسحاب** يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد
انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه
كما قيل في قوله بين الدخول فحومل **والركام** المتراكم بعضه فوق بعض **والودق**
المطر **من خلاله** من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله
وينزل بالتشديد **ويكاد سنا** على الادغام **وبرقه** جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات
وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من
قولك سني للمرتفع **ويذهب بالابصار** على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له
وابتهالهم اليه وانه يسخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله
حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته
ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب
بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية
الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فان قلت متى رأى رسول الله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير
ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر **قلت** علمه من جهة اخبار الله

إياه بذلك على طريق الوحي **فإن قلت** ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله
من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل من السماء من جبال
فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال **فإن قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت**
فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني
ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق **كل دابة**
ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب
كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع
قوائم **فإن قلت** لم نكر الماء في قوله من ماء **قلت** لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع
من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين
المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فإن قلت** فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي
قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس
الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا
خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه
منه **فإن قلت** لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب **قلت** قدم ما هو
اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين
ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل
الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر
ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة
لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا
او الى الفريق المتولي وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن لهم ما سبق لهم
من الايمان انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن

عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله **بالمؤمنين**
دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان
الموصوفون في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى
الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله
غلبناه قيل القطا وفرطه اراد قيل فرط القطا روي انها نزلت في بشر
المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله
والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان
المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب خصومة في ماء وارض فقال المغيرة
اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي **اليه**
صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين
في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم
انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم
الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم
اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم
قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى
القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل
خوفهم حيفه بقوله **بل اولئك هم الظالمون** اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم
بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده
وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن
الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان
اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين
وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فإن قلت** الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل **قلت**

مسندا الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله
لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة
لقوله دعوا وقرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون
القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا
ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رض في تفسيرها
ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية
جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رض من قال بالله فقد جهد يمينه واصل
اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه
مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه
قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف
الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب
كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون
بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل
او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة
معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه
شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام عن الغيبة
الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه
وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء
الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما حملتم من التلقي
بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله و
عذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى

(في الهامش: تمام البيت وهات خبز البر او دقيقا)

فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان
يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى
التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام
على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم
مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه
وذلك ان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا
في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح
فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم
محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا
بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا
على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك
قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا
ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما
استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام
والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او نزل وعد الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته
استينافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال
يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم
واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله
فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة
العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين

قلت أوضح دليل وأبينه لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
هم وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن
يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون
غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها وقرئ **لا يحسبن**
وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين
كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد
وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون
الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول
الأول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد
اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على تحسبن
الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار و
والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم أمر بأن يستأذن العبيد وقيل
العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاث مرات في اليوم
والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام
فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة
وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل
تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور
المكان والأعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات
وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة
والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم
الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج روي أن مدلج بن عمرو وكان
غلاماً أنصارياً أرسله رسول الله وقت الظهر إلى عمر رض ليدعوه فدخل

عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا
وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعة إلا بإذن ثم انطلق معه
إلى النبي عليه فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة
بسبب عمر وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت إنا لندخل على
الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام
لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه فقالت إن خدمنا
وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن أبي عمرو **والحلم** بالسكون وقرئ **ثلاث**
عورات بالنصب بدلاً عن ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وعن الأعمش
فإن قلت ما محل ليس عليكم **قلت** إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل
الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وإذا نصبت
لم يكن له محل وكان كلاماً مقرراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة **فإن قلت**
بم ارتفع بعضكم **قلت** بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف
لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمراً لتلك الدلالة **الأطفال منكم**
أي من الأحرار دون المماليك **الذين من قبلهم** يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم
الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم
حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في
العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا
أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا
على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم إلا بإذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن
ابن عباس رض آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي أن
تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وإن كانت في حجرك تمونها
وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله

عورات على لغة هذيل صح

أنعامكم فقال ناس أعطاكم بيننا وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا
على آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل إن الناس
لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله
ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها **فإن قلت** ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ
قلت قال أبو حنيفة رض ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة
العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رض عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار
وبه أخذ الفرزدق في قوله ٭ ما زال مذ عقدت يداه إزاره ٭ وسما فأدرك خمسة الأشبار ٭
واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل اخضر إزاره
القواعد اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن لا يرجون نكاحا لا يطمعون فيه والمراد
بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار **غير متبرجات**
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدين زينتهن
إلا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن إليه **وأن**
يستعففن من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار
أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم **فإن**
قلت ما حقيقة التبرج **قلت** تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب
منه شيء إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها
وبرا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبرج وتبلج لذلك كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم
وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا
أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من
المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل

من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم
لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت
عين أكيله إليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه
فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو
ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون
إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون وحكي عن الحرث
بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا
فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء
الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح
وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا
من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا
أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر
فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر
فإن قلت هلا ذكر الأولاد **قلت** دخل ذكرهم تحت قوله **من بيوتكم** لأن ولد الرجل
بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده
من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب
ممن عدد من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب
منهم أولى **فإن قلت** ما معنى أو ما ملكتم مفاتحه **قلت** أموال الرجل إذا كان
له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته و
ملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ
مفتاحه **فإن قلت** فما معنى أو صديقكم **قلت** معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق
يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن أنه دخل
داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها

الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه
وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من
البدريين وكان الرجل يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ
ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من
عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة
النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان
الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح
وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه **جميعا**
او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا
يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من
يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع
ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة
بعضهم على بعض **فاذا دخلتم بيوتا** اي من هذه البيوت لتاكلوا فابدؤا بالسلام على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة **تحية من عند الله** اي ثابتة بامره ومشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية
طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب
لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء
فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على
يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله
قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر
خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت
احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين على اهل

البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما
كقولك قعدت جلوسا اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب
عن مجلس رسول الله بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم
حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له
والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه
بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث
اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله وضمنه شيا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم
يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له **والامر الجامع** الذي يجمع له الناس
فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب
مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر
الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على
امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء باراءهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته
فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه
فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط
ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم
وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا
انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان
قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم

في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم
والأمر في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه
رأيه إذا احتاج رسول الله إلى اجتماعكم عليه لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه ولا
تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا
تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه ولا تقولوا
يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع
ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله
حاجة فربما أجابه وربما رده فإن دعوات رسول الله مسموعة مستجابة **يتسللون**
ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل **واللواذ** الملاوذة وهو أن يلوذ هذا
بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم
ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن
فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه إلى الأمر
إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه
عن الأمر إذا صد عنه دونه ومعنى **الذين يخالفون عن أمره** الذين يصدون عن
أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف
والمخالف عنه الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه
فتنة محنة في الدنيا **أو يصيبهم عذاب أليم** في الآخرة وعن ابن عباس فتنة
قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان
جائر أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع
توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى
ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله * فإن تمس مهجور الفناء
فربما * أقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير * أخي ثقة لا تهلك الخمر
ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى أن جميع ما في السموات مختصة به خلقا وملكا

وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون
وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم
حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون
إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم
عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى
وفيما بقي **سورة الفرقان مكية سبعون وسبع آيات**

بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة الخير وزيادته
ومنه تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى
عنه في صفاته وأفعاله **والفرقان** مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي
به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا
مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشترك كافر
بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وأمته كما قال لقد أنزلنا
إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا والضمير في **ليكون** للجن والإنس **نذيرا** منذرا
أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي
رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه **فإن قلت**
كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه **قلت** ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل
منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به **فإن قلت**
في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كأنه قال وقدر كل شيء
تقديره **قلت** المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير وهيأه لما يصلح
له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر والمسوى الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد

للعبد أو للفرقان وتعضد رجوعه
إلى الفرقان قراءة ابن الزبير **للعالمين** صح

جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة
مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه أو سمى إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته
إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث
وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده
لم يوجد متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم
الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا و
المعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون
على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون
لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير **ولا يملكون** أي لا يستطيعون
لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال
ودفع الضرر عنها وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور
التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز **قوم آخرون** هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب
بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن
الحرث بن عبد الدار جاءوا وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون
على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل
الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز
بفصاحته جميع فصحاء العرب **والزور** أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه **أساطير الأولين**
ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع
أسطار أو أسطورة كأحدوثة **اكتتبها** كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء
واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه **وقرئ اكتتبها** على البناء للمفعول والمعنى
اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى
الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل
للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي

ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى **فإن قلت** كيف قيل اكتتبها
فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتبها **قلت** فيه وجهان أحدهما أراد
اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من
كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن
أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي
في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفرح أن أرزأ الكرام وحق الحسن
أن يقف على الأولين **بكرة وأصيلا** أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس
وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض ومن جملته
ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن أمر رسوله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم
منكم وعلم منه **فإن قلت** كيف طابق قوله إنه كان غفورا رحيما هذا المعنى **قلت**
لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة
والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه
أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط
المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول
سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن
رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي لم يصح أنه رسول الله وحاله مثل حالنا
يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان
يجب أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار
والتخويف ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا
بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فا
قتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير

أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم وأراد **بالظالمين**
إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا
وقرئ **فيلكون** أو يكون له جنة بالياء **ونأكل** بالنون **فإن قلت** ما وجه الرفع والنصب
في فيكون **قلت** النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على
أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه
يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون
إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل
بن خويلد ومن ضامهم **مسحورا** سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا
أنه بشر لا ملك ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات
والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء
وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق
فلا يجدون طريقا إليه تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا
وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ **ويجعل** بالرفع
عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وإن
أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك إذا أدغمت
أن يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو
بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة **والسعير**
النار الشديدة الاستعار وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم **رأتهم** من قولهم دورهم
تترا وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل
المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك
بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا

على الكفار وتلهفا للانتقام منهم **الكرب** مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من
القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق
حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره
أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون
في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر
شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد **والثبور** الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه
أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك **لا تدعوا** أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن
يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم
فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور
لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وإنما
قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا
في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم
فإن قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا **قلت** هو كقوله نعم الثواب
وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت
مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان
وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف
بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك
ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤون **والوعد** الموعود أي كان
ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء
وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك ربنا وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأدخلهم

الزج الحديدة التي في أسفل الرمح

جنات عدن التي وعدتهم نحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر
الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام
ينطقها الله ويجوز أن يكون عاماً لهم جميعاً فإن قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت
هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد ما هو
فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف
كأنه قيل ومعبودهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني
أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب فإن قلت ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أأضللتم
عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده
لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام
حتى يعلم أنه المسؤول عنه فإن قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما
فائدة هذا السؤال قلت أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم
فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعاً مما يلحقهم من غضب الله تعالى وعذابه
ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية
ذلك في القرآن لطفاً للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على
الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم
فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل
أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا
النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب
هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل
الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها
منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتع بها وأسندوا
نسيان الذكر والتسبب للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي
أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان

الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أنتم أوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وضل مطاوع أضله وكان القياس
ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل
إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالاً أي ضائعاً
لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله
سواء كان منه فعل أو لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل
لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال
الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون
المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو
قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما
نداً ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى
أحداً دونك فكيف لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولوك دونك وما كان ينبغي لنا
أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى
فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل
أعني اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ ولياً وإلى مفعولين كقولك اتخذ
فلاناً ولياً قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم
خليلاً فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو من أولياء والأصل
أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي إلى مفعولين
فالأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض
أولياء وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام
والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد
والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام

حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها
قوله عز وعلا يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن
تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا
خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ **تقولون** بالتاء
والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم إنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء **فإن قلت** هل يختلف حكم
الباء مع التاء والياء **قلت** إي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور
بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم **وقرئ**
يستطيعون بالتاء والياء أيضا يعني فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم
وقيل **الصرف** التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال فما يستطيع آلهتكم
أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم **والكافر** ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن
لم يتب فأولئك هم الظالمون وقرئ **يذقه** بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم الجملة بعد
إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين ونحوه قوله عز
من قائل وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد وقرئ **ويمشون** على البناء
للمفعول أي تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية
وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
فتنة أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبعدوه من
أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت
عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين
بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع
أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وموقع

أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن
عملا **بصيرا** عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا تستخفنك
أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما
عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة
للفقراء لينظر هل يصبرون وأنها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء
وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم
إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك
خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال
وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض لا يأملون
لقاءنا بالخير لأنهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة
الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة إلى دار جزائه
بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم
بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه
ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله
لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما
أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة
كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فإن قلت**
ما معنى في أنفسهم **قلت** معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر
والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير
فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار
وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي

البواء يقال دم فلان بواء لدم فلان
وا باءت فلانا بفلان اذا قتلته به مجمل

اسلوبها قول القائل وجارة جساس ابأنا نابنا بها كليبا علت بات كليب بواؤها
وفي نحوه هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب باحد شيئين
اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ
للتكرير واما باضمار اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين
وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا
محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك
اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء
عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه
ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ
طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا و
يحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع
واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة
وذعر عوذ برب منكم وحجر فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما
معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل
الهوان وموت مائت والمعنى في الاية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه
وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم
لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو
الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه محرما عليكم الغفران
والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه
القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم
خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم

فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه
بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء
فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم
يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله مأكولا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى
جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر
كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل
الهبوة المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون
ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن
وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ
من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي
معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة
وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن
رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحا
سين والزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها
ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق
به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر
به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات
قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان
التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام
الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء
وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن

الريح

الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة وقرئ وتنزيل الملائكة وننزل الملائكة ونزلت الملائكة ونزل الملائكة ونزل
على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل وقراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق الثابت لان كل ملك
يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل
البنان وحرق الاسنان والارم ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها
فيها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد
السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل
نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله وقيل
اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان لا يأكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي
من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت
بن اقلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله ابيا باحد
فرجع الى مكة فمات فاللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان
يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا
واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت
ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتي بالياء
وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما
قلبت الياء الفا كما في صحاري ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية
عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه
وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة

ل

يجعله

يجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد
نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا
لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو
الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن
من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله
اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وقومه
قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه
لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا
ثم اقبل عليه مسليا ومؤتسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان لكل نبي قبلك مثلي
بعداوة قومه وكفى بك هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه من تعلم القرآن
وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب
العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى
اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل
واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى
وقال الرسول يوم القيامة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان
متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب
الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول
من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج لا يختلف بنزوله جملة
واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي

بتقويه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا
بعد شي وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتبعل به وتعيا بحفظه والرسول
صلى الله عليه فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب
وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين
سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات
السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا
فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شي تقدمه والذي تقدم هو انزاله
جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا **قلت** لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه
لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم
واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا
هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته **ورتلناه**
معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى
ترتيلا ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا
بترتيل قراته ورتل القرآن ترتيلا اي اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث
عايشة في صفة قراته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها
واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه
بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل
في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة **ولا ياتونك**
بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن
بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومودى من سوالهم
ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه
فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا ياتونك

بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك
ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك
نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن
تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان
ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شي منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان
ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه
كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه
ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم
لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل
انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد
بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي وعن النبي صلى الله عليه يحشر
الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم ينسلون نسلا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن
الواحد انبيا ويومرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما
فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار
القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام
الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم
وعنه فدمراهم وقرئ **فدمرانهم** على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن
قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل
اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم
قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه
عطف عادا على هم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود

على تأويل القبيلة وأما المنصوب فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب
الرس كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيباً فدعاهم
إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية
عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا
نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا
مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم

من أحسن الطير يكون فيها من كل لون

الذي يقال له دمخ وهي تنقض على صبيانهم فتختطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها
حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب
الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار
وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها **بين ذلك** أي بين ذلك المذكور وقد
يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة
ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود **ضربنا له الأمثال**
بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب
الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميرهم **والتتبير** التفتيت والتكسير
ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج **وكلا** الأول منصوب بما دل
عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا وحذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له أراد بالقرية
سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعاً بأهلها وبقيت واحدة
ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشاً مروا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام
على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء فلم يكونوا في مرار مرورهم
ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوماً كفرة بالبعث
لا يتوقعون نشوراً وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة
من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون
نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون

الأول إن يتخذونك إلا هزواً
والثاني إن كاد ليضلنا عن آلهتنا

على اللغة التهامية أن الأول نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينهما **واتخذ هزواً** في معنى استهزئ به والأصل اتخذ موضع هزء أو مهزوءاً به
أهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولاً إخراجه
في معرض التسليم وإنكار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم
يستهزئوا لقالوا أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً
وقولهم **إن كاد ليضلنا** دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله
قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم
حتى شارفوا بزعمهم لأن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم
بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة
مجرى التقييد للحكم المطلق **وسوف يعلمون** وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه
وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله
من أضل سبيلاً كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله إلى
الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه ويروى أنه من قول
أبي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر
دليلاً ولا يصغى إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله
هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل
عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين
وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى أن الرجل
منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس
السهمي هذه منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها
حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم
لا يلقون إلى استماع الحق أذناً ولا إلى تدبره عقلاً ومشبهين بالأنعام التي
هي مثل في الغفلة والضلالة ثم أرجح ضلالة منها **فإن قلت** لم أخر هواه و

والأصل قولك اتخذ الهوى إلها **قلت** ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الأول
للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فإن قلت** ما معنى
ذكر الأكثر **قلت** كان فيهم من لم يصده عن الإسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة
وكفى به داء عضالا **فإن قلت** كيف جعلوا أضل من الأنعام **قلت** لأن الأنعام
تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي
هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي
هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي
ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط
فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء
وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه
وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها
في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا
فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أنه
ينسخه بضح الشمس يسيرا أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع
ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل
والشمس جميعا **فإن قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها **قلت**
موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثاني أعظم من الأول والثالث
أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض
تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء
لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها

عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص
ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة
بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه
كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله **قبضناه إلينا** يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال
ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر **والسبات** الموت
والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل **فإن قلت**
هلا فسرته بالراحة **قلت** النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق
وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب
بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت
والحياة أي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر قرئ **الريح** والرياح **نشرا** إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر
وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى **وبين يدي رحمته** استعارة مليحة أي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره
فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين
في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما
يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت
طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة
إلا بطهور أي بطهارة **فإن قلت** ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور **قلت** تيقن
مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله
في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة رض وعند مالك ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور
فإن قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه
شيء إلا ما [غير لونه أو طعمه أو ريحه] **قلت** قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال منشأ

لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت والله عز وجل جار على الفعل كفعول
ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل
له سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء
والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم
فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان
الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت
لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة
عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراد هم عليها ان يؤثروها
في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها
كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب
قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام
ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم
كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت
معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء
فبهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته
وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتبعدين عن
مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت
لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم
وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا
سقياهم يريد ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف
التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة
الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة

وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا
الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس
ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية
وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف
فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به
بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت
هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد
ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد
نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر يقول للرسول صلى الله عليه ولو شئنا
لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا
الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد
والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين
وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار
يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك
بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز
ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير
كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته
فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال
له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة سمى
الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة
والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل
بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر
ممزوج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا

بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وبتوفر رئته وقرى ملح على فعل وقيل كان حذف
من مالح تخفيفا وكما قال وصليانا بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه
قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز
كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي
احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما
في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها
على البلاغة اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان
بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل
غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي انها
نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق
والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله
وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه
هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله
اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا
فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال
ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك
المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد
فائدتين احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك
لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت
مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله
صلى الله عليه كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا

تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب
بالصدقة والنفقة في سبيل الله امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء
شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته
وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده
ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها
فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر
عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام
يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة
ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد
اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة
بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت
التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر
الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا
لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب
النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا
والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير
ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان
وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك
الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن
سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما

لخلقها للرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين
الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل
عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسأل والباء في به صلة
سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ
عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه و
فتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل تريد فسل عنه رجلا
عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت
به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل
عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا
يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم
كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له
رحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه
بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن
مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه
على الله **لما تأمرنا** اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك
لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن
ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول **البروج** منازل
الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق
البرج من التبرج لظهوره **والسراج** الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا
وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش **وقمرا منيرا**
وهي جمع ليلة قمراء كأنه وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه

ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون
القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب **الخلفة** من خلف كالركبة
من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما
ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان
كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ **يذكر** ويذكر وعن أبي بن كعب يتذكر
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما
من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من
السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته
عمله من الذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان
له في النهار مستعتب **وعباد الرحمن** مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه
قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان
يكون خبره الذين يمشون واضافتهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ
وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا
هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة **والهون** الرفق واللين
ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون
والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون
بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا
وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون
في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر
اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول

يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة
من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها اية
القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة
والشريعة واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت
او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقايما
وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم
باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صايما ويبيت قايما **غراما** هلاكا وخسرانا
ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب
يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم
باحياء الليل ساجدين وقايمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم
خايفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة **ساءت** في حكم بيست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم
محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان
وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا
حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله
وحكاية لقولهم قرئ **يقتروا** بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها
والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة
الحد في النفقة وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق
في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا
اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته
واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن
لعبد الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه

والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد
الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعد وقيل اولئك
اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة
ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما
يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رض كفى سرفا ان لا يشتهي رجل
شيئا الا اشتراه فاكله **والقوام** العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين
واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ
قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جايز ان يكونا خبرين
معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما
حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير
متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس
به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة
فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة **حرم الله** اي حرمها والمعنى حرم
الله قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات
العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين
من قريش وغيرهم كانه قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل
بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رض قلت يا رسول الله اي
الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك
خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه
وقرئ **يلق فيه اثاما** وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم
بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا و
العقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرا ابن مسعود اياما

اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب **يضاعف** بدل من يلق لانهما في معنى واحد
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ يضعف
ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على
الحال وكذلك **يخلد** وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد
وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم **فان قلت**
ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات **قلت** اذا ارتكب المشرك معاصي
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة مضاعفة المعاقب
عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات
الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل
المشركين وبالزنى عفة واحصانا تريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل
في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل
بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض
العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم
الوالد او فانه يرجع الى الله وثوابه مرجعا حسنا واي مرجع يحتمل انهم ينفرون
عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها
عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة
فيه وكذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه
لان سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ
عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون
شهادة الزور بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة
مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين
اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين

به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا
من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه
لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني
زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على
استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون
بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر
بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها
ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم قرئ **ذريتنا** وذرياتنا وقرة
وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله
يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن
من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه
يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم
لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله
ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام
او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما
يدل على ان الرياسة الدينية يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه
الآيات في العشرة المبشرين بالجنة **فان قلت** من في قوله من ازواجنا ما هي **قلت**
يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت
بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم
رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم
ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **فان قلت** لم قال قرة اعين فنكر وقلل **قلت**

اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه
اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين
المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد
الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من
قرا في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار
ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ
يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله ويلق اثاما التحية دعاء
بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة
من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما رزقتهم
في دار رضوانك لما وصف عباد الرحمن وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى
عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث
لاولئك وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله
ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة
وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا
عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في
محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم
يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما
عبات به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول
ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل ما يعبا
ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان يكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان

حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر
تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من
عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى
ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم
الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فان قلت
الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون
ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ
فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم
بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به
لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة
آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء
الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار
النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به
السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين
البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح
ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك
ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة
باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف
على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن
كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت

كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق **قلت** أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت
الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة
كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله
لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل
لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات
الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة
وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة أي وما يجدد لهم الله بوحيه
موعظة وتذكيرا إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به **فإن قلت** كيف خولف بين الألفاظ
والغرض واحد وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** إنما خولف بينها لاختلاف
الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد
خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلا للحق
مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان موقرا له فسيأتيهم
وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما
الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت
خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم لكل ما يرضى ويحمد
في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده
وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه **والنبات**
الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها
قادر على إحياء الموتى وقد علم أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم **وإن
ربك لهو العزيز** في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن تاب وآمن وعمل صالحا **فإن قلت**
ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم **قلت** قد دل كل على
الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة

فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته **فإن قلت** فما معنى وصف الزوج بالكريم
قلت يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت
في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات
نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن
الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل
إلى معرفتها العاقلون **فإن قلت** فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة
وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال
آيات **قلت** فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن
في الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبقت
لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف
البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان
على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم
فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بكفرهم وشرارتهم
ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ **ألا يتقون** بكسر النون بمعنى
ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة **فإن قلت** بم تعلق قوله ألا
يتقون **قلت** هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار والتسجيل
عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف و
من أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون
حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار
على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم
وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية
إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه
قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم

تستحي من الناس **فإن قلت** فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام
في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون **قلت** إجراء ذلك في تكليم المرسل
إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس
وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر
نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه
آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع
لأنهما معطوفان على خبر إن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى
أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق
اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة **فإن قيل** في النصب تعليق
الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق
الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به **قلت** قد علق
الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان
به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فإن قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق
اللسان **قلت** يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر
اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع
الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن
يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى فأرسل
إلى هرون أرسل إليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام
مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون
فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا
إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها
وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة

كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين
فكذبوهما فأهلكهم **فإن قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله
بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم الله من ورائه **قلت**
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره
وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر
في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب
العون دليلا على التقبل لا على التعلل أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز
فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل **فأخاف أن يقتلون**
به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة **فإن قلت** قد أبيت
أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرا
بعة **قلت** هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة
فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة
والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم
فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله
اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون **فإن قلت** علام
عطف قوله فاذهبا **قلت** على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع
يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله **معكم مستمعون** من مجاز
الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع
ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا
خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا **فإن قلت** لم جعلت
مستمعون قرينة معكم في كونه من المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع
وسامع **قلت** ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى
الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحي

الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه
وسمع لحديثه اى اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من
استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه البرم فان قلت
هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل
وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة
فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر
نحو صوم وزور قال ألكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر فجعله للجماعة والشاهد
فى الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا
ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة
واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد
ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت
اليك ان افعل كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى
هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين
وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال
البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا
نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فحذف فاتيا فرعون
فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل الوليد
الصبى لقرب عهده من الولادة وفى رواية عن ابى عمرو يسكون الميم سنين قيل
مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم
على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه
قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه
نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم
ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا

اى قتلته وانت لذاك من الكافرين بنعمتى او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة
قد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وجل عاصم
من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفرة ويجوز ان يكون
قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران
النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين لفرعون والهته
او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى
ويذرك والهتك وقرئ والاهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما
فرطت منه وهو من الضالين اى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين
مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير
تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ
ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن
تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من سنخه
وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل
لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكانه امتن
عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت
الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدنى قومى وقد كثرت فيهم اباعر
بما شاءوا واعبدان فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون
فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بما فعلت
فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة بان تجازى
بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير فى منكم مع افراده فى تمنها وعبدت قلت
الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ

يأتمرون بك ليقتلوك واستبقاء نسائهم خدمًا وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة
إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى خصلة شنعاء
مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة
لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه
إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين
يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء
التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه
أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء
ليس كمثله شيء وإما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة
ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته
استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق
العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق
بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب
سواه لادعائه الإلهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجّب قومه من جوابه حيث
نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه
رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري
وهذا يدل على صحة هذا الوجه فإن قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع
مجموع قلت أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا
جمالين فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين عن فرعون وملئه الإيقان قلت
معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة دليله

فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل
عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما
قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب
قلت قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور
فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل
من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق
والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها من الآخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج
به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي
كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت
كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون قلت لاين أولا فلما
رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض
إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون فإن قلت ألم يكن لأسجننك أخصر
من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت أما أخصر فنعم وأما مؤداه
فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته
أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا
لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد الواو في قوله أولو جئتك
واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء
مبين أي جائيا بالمعجزة وفي قوله إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة
إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق
الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل
القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات
وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر

بالاتيان به يدل عليه **ثعبان مبين** ظاهر الثعبانية لا شي يشبه الثعبان
كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت
ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا **للناظرين**
دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة
وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج
يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع
يكاد يغشى الابصار ويسد الافق **فان قلت** ما العامل في حوله **قلت** هو منصوب
نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر
الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه
كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الا
ستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الاههم ان طفق يوامرهم
ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه
وارضه وقوله **ان هذا الساحر عليم** قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم **تامرون**
من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين
وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة **وماذا** منصوب اما
لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قولك امرتك الخير قرئ ارجئه بالهمز
والتخفيف وهما لغتان يقال ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة
وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى
اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه **حاشرين** شرطا يحشرون
السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحار فجاوا بكلمة الاحاطة وصفة
المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر **اليوم**

المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات
الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون
استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل
لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل
له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا هل انت باعث دينار
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطي به
لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم
باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية
لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ **نعم** بالكسر وهما لغتان ولما
كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم لمن المقربين
معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى
القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل
حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته
كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله
وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه لا تحلفوا باباكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا
الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم
لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شي لم تقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس
سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراها حلف لحالف
ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه
فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم

سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب
وإن يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا
أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور
بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة
أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم
أخذوا فطرحوا طرحا فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل
بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا
لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين
لأن فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك
المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى فلسوف تعلمون
أي وبال ما فعلتم الضر والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه
أعظم النفع لما يحصل لنا من الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم
مع الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب
إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير
علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو
رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا
أن كنا معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية
فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل
بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل
لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الهمزة
ووصلها وسر إنكم متبعون علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم
والمعنى إني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا

ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة
في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى
إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها
على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار
القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر
فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور
مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل
على حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا
وسماهم شرذمة قليلين إن هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم
قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي
هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد
قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون
أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر
بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذ
رون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل
المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي
قال "أحب الصبي السوء من أجل أمه" "وأبغضه من بغضها وهو حادر"
أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم
وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله المقام المكان يريد المنازل
الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة
أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا والجر على أنه وصف

لمقام اي لمقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي
الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق
من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم
وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء
اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة
وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحياة ام من الموت
اجزع والمعنى انا نتتابع في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد **الفرق**
الجزء المتفرق منه وقرئ **كل فلق** والمعنى واحد **والطود** الجبل العظيم المنطاد
في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم
من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم
الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم
كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل
ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن
عطاء بن السائب ان جبرئيل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول
لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم
فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع
فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط
طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا
قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي ان
موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال
هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية
اية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها

اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء
قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك
لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابرهيم صلوات الله عليه
يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له
الرقيق جمال وليس بمال **فان قلت** ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب
فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو
ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا **قلت** هؤلاء قد جاؤا
بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم
وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا
على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان
تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله
بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ
قتادة يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك
وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ حكاية للحال الماضية ومعناه استحضروا
الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا
ابلغ في التبكيت لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا امرهم
تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان
التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم
وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى
اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه

علي معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت
عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبني عليها تدبير
امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما
اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث الى الاستماع منه ولو قال فانه عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح
ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما حكي عن
الشافعي رحمه الله ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب
وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو ببيتي ولا ببيتكم والعدو والصديق يجيئان
في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم علي ذوي مرة اراهم عدوا وكانوا صديقا
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبهها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل
الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين
فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقبه هدايته المتصلة
التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن
امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه
لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت
دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه
ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم وقرئ **خطاياي** والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان
الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخيلات
للكفرة وليست خطايا يطلب لها الاستغفار **فان قلت** اذا لم يندر منهم الا
الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا **قلت** الجواب ما سبق الي
ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله

[margin: وطمع ان تغفر لهم]

اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وتعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب
المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم **فان قلت** لم علق مغفرة
الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا **قلت** لان اثرها يتبين يومئذ وهو
الآن خفي لا يعلم حكما الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان
النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم
به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن
الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا
ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه
معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني
يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا من اتى الله بقلب سليم وهو
من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل
لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه
واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى
وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من
اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله
وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو
الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول
المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم نقدر
المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع
مال ولا بنون الا رجلا سليم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم
من فتنة المعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى
استثناءه هذا حكاية راض باصابته ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته

لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ
من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن
ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون
سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع
ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون
شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى
ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته
مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه
ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه
المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا
ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون
بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم
يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم كلها والحسرات
فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال
لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا
على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها
اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة
الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز
ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم
رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا

وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم
القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى
المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه
لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض
قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون
في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس
او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون
عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم
المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة
بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص **فان قلت** لم جمع الشافع ووحد الصديق
قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق
ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له
باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز
من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز
ان يريد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني
كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز
ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها
قويمة ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام كقولك فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول
العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون
حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا كان امينا فيهم مشهورا
بالامانة كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما

أدعوكم إليه من الحق **عليه** على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا
الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع
تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني حسم
طمعه عنهم وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو
للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الأرذال على الصحة وعلى التكسير
في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية
كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش
تقول في أصحاب رسول الله وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من
سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله فلما
ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس هم
الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي وأي شيء علمي
والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله والاطلاع على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا
لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا
هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم
نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد
العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار
الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيئ
فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون
ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم
وإنكار أن يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فإن الغنى غنى
الدين والنسب نسب التقوى وما أنا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني أن أتبع
شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما علي إلا

أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم
بشأنكم ليس هذا بإخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم بشأنكم
ولكنه أراد أني أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك لأجلك ولأجل
دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه يفصل بين الخصومات
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل
والجمع بوزن أسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان في قولك
العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير
هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع
بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل
ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها و
يخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية
العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما
طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا
بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون
لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي
كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا وإذا بطشتم بسوط أو سيف
كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن
تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم
حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم
عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون
من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب
فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد **فإن قلت**

كيف قرن البنين بالانعام **قلت** هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها
فان قلت او وعظت اولم تعظ كان اخصر والمعنى واحد **قلت** ليس المعنى بواحد وبينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله
ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظك من قولك ام لم تعظ من قرا خلق الاولين
بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين
او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا
حساب ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين
الا خلق الاولين الخالية وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون
او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر
او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون
عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات
غير مزود لكن مع الامن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم
فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل **فان قلت** لم قال
ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل
كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون
النعم ولا يريدون الا الابل قال تسقي جنة سحقا **قلت** فيه وجهان ان يخص
النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله
عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها
النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو
اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر
من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك
طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل

نعيمه

وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان
نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير
واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال
ونخل قد ارطب ثمره قرا الحسن بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة
الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر
المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي
امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري **فان قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون
قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال
بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح **المسحر** الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله
وقيل من المسحر الرئة وانه بشر **الشرب** النصيب من الماء نحو السقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء
تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين
وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها
في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة
اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء
بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ
من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد
وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها
فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين
فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك
صبيانهم **فان قلت** لم اخذهم العذاب وقد ندموا **قلت** لم يكن ندمهم
ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن
يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي

الكسعي الذي يضرب بندامته المثل منسوب الى كسعة ذم حي

أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل
وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد
وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى العذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس
أي أتأتون من بين أولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة
إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون
من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون
بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من أزواجكم
يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح
منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم يفعلون
مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون
هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك
أو أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة
لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين
أظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوء
حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض
من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن
القالين أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون
أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته
لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض
يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث
الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي
من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن
يريد بالتنجية العصمة فإن قلت فما معنى قوله فنجيناه وأهله أجمعين

إلا عجوزا قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة
منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي
فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت
الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم
شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت في الغابرين صفة
لها كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت
معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير
الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة و
المراد بتدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة أمطر الله
على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك
حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين
قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن
بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث
وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء
كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على
حكم لفظ اللافظ كما يكتب [illegible] لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف
وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف
وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فإن
قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا إن شعيبا لم يكن
من أصحاب الأيكة وفي الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة
الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى
عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على

على الله ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه. قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا
وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين
مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل. يقال بخسته
حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد
ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه
الا باذنه تصرفا شرعيا. يقال عثى في الارض وعثا وعاث وذلك نحو قطع الطريق
والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا
عن ذلك. وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد
اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين. **فان قلت** هل اختلف المعنى
بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود. **قلت** اذا دخلت الواو فقد قصد
(وما انت الا بشر مثلنا) (ما انت الا بشر مثلنا)
معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول
لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد
الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم. **فان قلت**
ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه. **قلت**
اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان
اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين
فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا. قرئ كسفا بالسكون والحركة
وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة
وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك
الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه
ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط
علينا كسفا من السماء. ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستو
جبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط الكسف من السماء فعل

الغيم والغيمة مثل [illegible]

وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة
ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم
يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل
ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا
لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا. وروي
ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين
بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة. **فان قلت** كيف كرر
في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر. **قلت** كل قصة منها كتنزيل برأسه
وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح
بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني
في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد
ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم
واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر
عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت
بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده
بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا. وانه وان هذا التنزيل يعني
ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح
ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به
على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى. بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا
بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام
واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله
نزله
باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به

وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك
تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع
اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات
فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام
يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان
ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على
قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر
الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رضي الله عنه في
جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية
حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح قرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب
على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان
يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها
وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة
موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن
آية ويجوز مع نصب الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه
بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ
تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى
عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت
كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف
الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح
وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة
زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم

لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل
ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه
صوت اعجما * سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على
رجل عربي بلسان عربي فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز
لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله
على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه
وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه
شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم
الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا
متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه
اي مثل ذلك السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى هذا الحال وهذه
الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى
اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت
اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر
قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح
فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم
على عقيبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه
في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته
مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب
به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به
وقرأ الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة

فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية
العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه
قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه
بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن
تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله
يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل
له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم
يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم
ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه
اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية
توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال
ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم
انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا
افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال
هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك
ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران
انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة
هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف منذرون
رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان
فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم
ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او
مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة
بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم

ووجه آخر وهو ان تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من
اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم
تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين
وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم
تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل
الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله
سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما
يتنزل الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون
عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن
الشياطون ووجهه انه راى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري
الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت
العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشتقه
من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون
ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج
ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم
انهما لم يقرءا به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد
الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب
فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم
على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية مو
ضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه
ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي
انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب

يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله إني لا أملك لكم
من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون
رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا
حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا
أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي أنه قال يا بني
عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا
ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية محمد
اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع
كسر جناحيه وخفضهما وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وأنت الشهير بخفض
الجناح فلا تك في رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع فإن قلت المتبعون للرسول
هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين
قلت فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد
بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به
وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين
والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم
يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك فإن عصوك ولم يتبعوك
فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك
منهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا
المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا
إذا وقع الإنسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد المتوكل لأنه لم يحاول
دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ
نافع وابن عامر وله محلان في العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع على العزيز الرحيم

على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم أتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد
وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن
سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين
نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم
وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل
معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما
بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة
رضي الله عنه هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا هذه الآية
ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين
إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي
خلفه من قوله عليه السلام أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا
ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك كل أفاك أثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة
وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملأ
الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به
إلى أوليائهم من أولئك وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون
يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين
إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر
ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد
فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب فإن قلت كيف دخل حرف الجر على
من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد

اسم كاهن من كهان العرب

مررت ولا تقول على أزيد مررت **قلت** ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين
معاً معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر
الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم
فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول
أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت **فإن قلت** يلقون ما محله **قلت**
يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك
لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلاً قال لم تنزل على الأفاكين
فقيل يفعلون كيت وكيت **فإن قلت** كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضي
عليهم أن كل واحد أفاك **قلت** الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم
لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني
وأكثرهم مفتر عليه **فإن قلت** وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات **قلت** أريد
التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما
فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة
الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية
فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون
خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه
من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار
ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون و
السفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم
شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع
بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول
مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم

وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر الشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال
أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة
وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً
لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم
وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس
على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن
سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت أفض أغلاق الختام فقال
قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا
يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن
وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوا في توحيد الله والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة وما لا
بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أن رجلاً من العلوية قال له إن
صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر
باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب مالك وكعب بن زهير
والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول
لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول
ولا أنكأ لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه
من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا وإطلاقه وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه

وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون
بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن
خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناه
إن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم
وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين
عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب
قال رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

طس قرئ بالتفخيم والإمالة وتلك إشارة إلى آيات السورة **والكتاب المبين**
إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بينه للناظرين فيه إبانة
وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم
والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن
والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم
يعظم بالإضافة إليه **فإن قلت** لم نكر الكتاب المبين **قلت** ليبهم
بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر **فإن قلت**
ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن **قلت** كما يعطف إحدى الصفتين على
الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل
المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح
فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآي كتاب مبين وقرأ ابن
أبي عبلة **وكتاب مبين** بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه **فإن قلت** ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك

آيات الكتاب وقرآن مبين **قلت** لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه
من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن
بصدده والثاني نحو قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم هدى وبشرى في محل
النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى
الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون
خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين
أنها زائدة في هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا **فإن قلت** وهم
بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله **قلت** يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول
ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون
ويعملون الصالحات من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو
الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها
وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن
خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق **فإن قلت** كيف أسند تزيين أعمالهم إلى
ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم **قلت** بين الإسنادين
فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله مجاز وله طريقان
في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون
من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا
إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم
الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة
فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم بل متعت
هؤلاء وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته
حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصحح بعض

الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعموا
عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق
وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد
مترددين في أعمالهم وأشغالهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر والأخسرون
أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء في جميع الأمم فخسروا ذلك مع
خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم وهذا
معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقا
صيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه
قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم روي أنه لم يكن
مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف
الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس
بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد
ضله فإن قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما
ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون
كذا مع تجويزه الخيبة فإن قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لأهله أنه يأتيهم
وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة فإن قلت فلم جاء بأو دون الواو قلت بنى الرجاء
على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس
النار ثقة بعادة الله لا يكاد أنه لا يكاد أنه يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين
قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فإن قلت هل يجوز
أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد
من قد فإن قلت فعلى إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك

من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي
حصلت وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الأيمن في
البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت النار
والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم
الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر
الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم
الذي جرى في تلك البقعة وقيل المبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر
أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله
أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين
وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط
الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام
كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور
وعظائم الشؤون الهاء في أنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ
وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله
يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد
لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام
كقلب العصا حية فإن قلت علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى
نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له
بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وأن
ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت
إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر قرأ الحسن جأن على لغة
من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة

عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما
رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى
لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك
ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم
ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي ويوشك ان
يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه
ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة
وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا
في تسع آيات كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع
آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما
ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن
ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم
والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة
لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز
ان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر
فتهتدي لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة
عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة
كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة
اي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو
الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا

انوص

انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا
وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم
والاستيقان ابلغ من الايقان واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها
آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة
فيه علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا **فان قلت** اليس هذا موضع الفاء دون
الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر **قلت** بلى ولكن عطفه بالواو اشعار
بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم
عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت
مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم
وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان
من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباده كما قال والذين اوتوا العلم درجات
وما سماهم رسول الله ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم
القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها
ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد
العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه
من عمر ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر
تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله قال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها
واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات
الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي
علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه

منطق الطير

ويروى انه مر على بلبل في شجر يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما
يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء و
صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال
يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا
خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه
وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء يقول كل شيء هالك
الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه
والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول عش ما شئت آخرك الموت
والعقاب تقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد
كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار على سبيل الشكر والمحمدة كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت
فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها
وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته
مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه يفعل نحوا من ذلك
اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس
ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة
وعشرون للوحش للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان

يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب
وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله
ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت
في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي
آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت
اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل
داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم
التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة والعظمة قيل هو واد بالشام
كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان
اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت
عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم
اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم
ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم
وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال
تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت
يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية
وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة
رضي الله عنه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا
ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال
من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل
الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة

ذكر وحمامة أنثى وهو وهي وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم
ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى
خطابهم **فإن قلت** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون
نهيا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم
على طريقة لا أرينك ههنا أرادت لا يحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ ونحوه
عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه
يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك [illegible] ضحك الأنبياء وأما ما روي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك
النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع
ضحكا **فإن قلت** ما أضحكه من قولها **قلت** شيئان إعجابه بما دل من قولها على
ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم على شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك
قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما
لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة
ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك
وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك
عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك وإنما أدرج ذكر والديه
لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان
تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن
والديك وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى قوله وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد
فلم يبصره فقال ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم
لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة

ما لاح له ونحوه قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان
حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء
وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف
شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء
وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى
ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى
الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء
فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن
تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما
رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع
الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم
قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك
أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بعذر مبين
فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما
دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان
وعفا عنه ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل
كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران
ويشمس وقيل أن يلقى للنمل يأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه
وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة
الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه **فإن قلت** من أين حل له تعذيب الهدهد
قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم

والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من أجله إلا بالتأديب
والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان
الحجة والعذر فإن قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه
ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله
ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك
ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن
لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعل
وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين
عن دراية وإيقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد
كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من سليمان المعجزة الدالة على نبوته وعلى
قدرة الله عز وجل أحطت بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما
بما لم تحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي
هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى
منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون
في زمانه أحد أعلم منه سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي سكون الباء وعن ابن
كثير في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو الأب الأكبر صرف قال من سبإ
الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما قال الواردون وتيم في ذرى
سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها
وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن يراد المدينة والقوم

الكافحة المواجهة

النبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذي سماه
المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط أن يجيء
مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد
جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع
مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبإ من الزيادة
التي يطابقها وصف الحال المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض
اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت
هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع إلى سبإ فإن أريد به
القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها وقيل في وصف
عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان
ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من
ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق
فإن قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت
يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز
أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأ
طراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص
من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها
وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله فإن قلت فكيف قال وأوتيت من كل شيء مع قول سليمان
وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لأن سليمان
عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا إلى ما
أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه
الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين

الزمرد بالضم الزبرجد وهو معرب والراء مضمومة مشددة الصحاح

الكلام بين بون بعيد   كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة
بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت
لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب
من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار
سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه   لا يبعد ان يلهمه
الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد
العقلاء الرجاح العقول يهتدي لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان
خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ
بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز
ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف
فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال
الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب
الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب
وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم
وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه
عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب
وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف
هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من
يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء
وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج
الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك
بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد
تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم

في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت
اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة
اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى
ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي على ان سجدات القران اربع عشرة وانما
اختلفا في سجدة صاد فهي عند ابي حنيفة رضي الله عنه سجدة تلاوة وعند الشافعي رحمه الله
سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف
دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم
اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف
على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت
كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت
بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش
ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر
ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع سننظر من النظر الذي هو
التأمل والتصفح واراد صدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه
اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان
كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان
قريب تتوارى عنده ليكون ما يقولونه بمسمع منك يرجعون من قوله تعالى
يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى
في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه قال وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به
عن غيره وبنى الخطاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته
بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان
عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع

خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل
مصدر ل بسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها
قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان
وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ
انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه
من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه
من سليمان وتصديره باسم الله وقرا ابي ان من سليمان وان باسم الله على ان
المفسرة ولن في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا
ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب
من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى
اما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون
ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها
بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ~~فوجدها الهدهد راقدة في قصرها~~
بمارب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على
نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة
والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها
فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل
الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت
مسلمين منقادين او مؤمنين الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق
الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم
فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى
استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية

اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر
رجلا كل واحد على عشرة الاف اراد وا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات
والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك
ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال
او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي
والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك لما احست الميل الى المحاربة رات
من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب وزيفت اولا ما
ذكروه وارتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها
اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الحربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها
وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون
ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم
فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي
السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له
بالقران على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة
رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك
فروي انها بعثت خمس مائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور
والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب
المرصع بالجواهر وخمس مائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب
وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة
عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن
عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر

اليك بنظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك ولئن رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد
فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين
يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حايطا شرفه من الذهب والفضة
وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على
اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد
على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والوحش
والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب
تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر
اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه
كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة
واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا
بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما ياخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت
هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي
قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدني الهدية اسم المهدى كما ان
العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان
تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه
والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله اتاني الدين فيه الحظ الاوفر
والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد
بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون
بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم
بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدونني

بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت
مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا
قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج
معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله
فما اتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد
وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو
انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي
لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون
المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك
بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم
من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل
للهدهد محملا كتابا اخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة
اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير
في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان
يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا
ملوكا يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها
في اخر سبعة ابيات بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت
الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان باستيثاقها
من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء
العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرته وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها
فيها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل
له مالها وقيل اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لا يولى
به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ بغريه

والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر
الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان
لقوي امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم الكتاب
رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء
الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن
وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل
اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو
سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول
وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل
وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبرائيل وآتيك
في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت
فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد
الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك
ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان
آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن
ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان
بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار
مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت
ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء
الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل
الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان
كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع

اسم الله الاعظم

شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من
يكفر نعمته والذي قال سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري
على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة
بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا
عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه
مؤخره واعلاه اسفله قرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي
لمعرفته او للجواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رات
تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه
الحراس اهكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا
عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو
ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام
سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان
المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان
وملؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها رزقت الاسلام
وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية
العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته
وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضله
عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة
الشمس ونشوءها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها
كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة
او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم
قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها

الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل وقرئ أنها بالفتح على
أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير
سأقيها بالهمزة ووجهه أنه سمع سؤق فأجرى عليه الواحد والممرد المملس
وروي أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري
من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه
وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره
وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه
بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة
الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها
شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ
الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا
وقدما إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها أنه صرح ممرد من قوارير وقيل
هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان و
أحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان
وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل
أميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي يريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمان
يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ أن اعبدوا الله بالضم
النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه
قبل أن يؤمن منهم أحد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة
التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا
متوقعتين إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها
صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك

[Margin: سيلحين مدينة ... الصحاح ... غمدان قصر باليمن]

[Margin: على اتباع م]

الوقت ولئن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم
ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها
لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر
بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فنسبوا الخير والشر
إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي
هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب
الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا
اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء
منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء
حرمكم ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم
وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم
على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون أو تعذبون
أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة المدينة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة
بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس والفرق بين الرهط
والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة
إلى التسعة وأسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج
مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي
قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا
من أبناء أشرافهم ولا يصلحون يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط
بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل
أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا
وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان
ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر

التحالف والتبايت مبالغة العذر وليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات
فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها
من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف
يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت
كأنهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم
قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا
البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين
لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله
ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة
يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر
الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه
كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى
ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء
يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم
ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه
وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح
فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف
ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم
او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة لقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف
على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها

وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة
لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل
على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها
بعضكم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو نواس بنى على مذهبهم
قوله وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون
آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده
بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل
الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة
والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون
قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من
الغيبة وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس
هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير
واقع على الغبور في المعنى امر رسوله صلى الله عليه ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين
على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه
والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين
والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من
قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن
كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة
وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني
وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد
على الهالكين من كفار الامم والصلاة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل

هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله
ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم أن لا خير فيما أشركوا أصلاً حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم
وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه
إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم
لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط و
إضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما
حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره
التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما
عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون
بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأكرم (وأجل)
فإن قلت ما الفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لأن
المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير أم الآلهة قال بل أمن
خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر
على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلاً من الله كأنه قال أمن خلق
السموات والأرض خير أم ما يشركون فإن قلت أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة
إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان
بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع
حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص
بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال
من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط
من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال
النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل

شريكاً له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط
بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي
هو التوحيد أمن جعل وما بعده بدل من أمن فكان حكمها حكمه قرارا
دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزاً كقوله برزخاً الضرورة الحالة المحوجة
إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل مضطر والمفعول مضطر
الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله وعن
ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب إذا
استغفر قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن
دعاء العبد إلا شارطاً فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً يصلح للكل
وللبعض فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو
الذي إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون
بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أي يذكرون تذكراً
قليلاً والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات
في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر كيف قيل لهم
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون الإعادة قد أزيحت علتهم
بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار من السماء الماء ومن الأرض
النبات إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً فأين دليلكم عليه لم رفع اسم
الله والله يتعالى أن يكون ممن في السماوات والأرض جاء على لغة بني تميم
حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حمار يريدون ما فيها إلا حمار كأن أحداً لم يذكر
ومنه قول عنترة ما تغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفي المصمم وقولهم
ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه ما الداعي

الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي   دعت اليه نكتة سرية اخرج المستثنى مخرج
قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في
السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس
بتا للقول بخلوها عن الانيس   هلا زعمت ان الله ممن في السموات
والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته
فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم   يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير
صحيح على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد
فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام
لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله
عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع
عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا
رسول الله عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن
يئين ولا انصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل تدارك
بالتخفيف والتثقيل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الا
ستفهام بل ادرك بلا ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادا
رك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى و
تكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام
العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته
وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون
يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم

الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم   ان الاية سيقت
لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم
من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم
البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة   لما ذكر ان العباد لا يعلمون
الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم
ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي
لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام
العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس
ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك
وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها
التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك   فما وجه قراءة من قرأ بل ادرك على الاستفهام
هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام
التي بمعنى بل والهمزة   فمن قرأ بلى ادرك وبلى ادرك   لما جاء ببلى بعد
قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة
على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم
لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى ادرك على الاستفهام
فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم
شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شان
الآخرة ومعناها   هذه الاضرابات الثلاث ما معناها   ما هي
الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة

ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره
أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم ما هو
أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله
حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه
بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون
العامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا
وهي همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد
الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على إذا
وأن جميعا إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في أئنا لهم
ولآبائهم لأن كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم   تقدم في هذه الآية هذا على نحن
وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا   التقديم دليل على أن المقدم
هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله ففي إحدى الآيتين دل على اتخاذ البعث
هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم يلحق علامة التأنيث
بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم وأراد بالمجرمين
الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
ألا ترى إلى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم
لأنهم لم يتبعوك ويسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن
الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضا
تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد في أمر ضيق
من مكرهم استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب
يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو
دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وقرأ الأعرج

ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك
ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار
وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم
لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده
الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل
عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا
يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش قرئ تكن
يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون
من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي
يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة ونظائرهما
النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما
للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد
الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر البين
لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر
في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا
وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من
بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن   ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه   معناه بما يحكم به وهو عدله
لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز
في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة
بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان
أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل   إنك

لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل فما وجه ذلك   وجهه أن الأمر
بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك
اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم
أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم
وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات
الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء
جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين
ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد
أن ينزعه عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل   ما معنى قوله إذا
ولوا مدبرين   هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبراً
كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي على الأصل وبهاد
العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة
أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا
على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون
من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالماً لله خالصاً له سمي معنى القول ومؤداه
بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في
الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي
لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس
ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وخف بعير وما بين المفصلين
اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ
أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها
فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها

صفة دابة الأرض

تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه أنه
سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام
وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم
تكمن دهراً طويلاً فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما
يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية
بلسان ذلق فتقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني أن الناس كانوا
لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن
السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر تستقبل
المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل
ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه
المسلمون إذ تضطرب تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج
الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما
بين عينيه فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فيترك
وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو
النكتة حتى يسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا
وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان
أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم
ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضاً على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز
أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله
عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس
على أنه من الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى
القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فإن قلت

إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف يقول بآياتنا قولها حكاية لقول الله أو على
معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضاف
آيات الله إلى نفسه كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه
وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن فهم يوزعون يحبس أولهم
على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد
أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة
ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم
إلى النار أي فرق بين من الأول والثانية الأولى للتبعيض والثانية
للتبيين كقوله من الأوثان الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر
ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف
أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب
إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم
مضامينه ويحيط بمعانيه أم ماذا كنتم بها تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم
لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق
بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد علمته رويعي سوء أتأكل نعمي أم ما
ذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك
من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل إلا الأكل لتبهته
وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر
من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم
ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنهم لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر
والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم
يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد أن العذاب الموعود يغشاهم

بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله
هذا يوم لا ينطقون جعل الإبصار للنهار وهو لأهله ما للتقابل
لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا هو
مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا
فيه طرق التقلب في المكاسب لم قيل ففزع دون فيفزع
لنكتة وهي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات
والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم
عند النفخة الأولى حين يصعقون إلا من شاء الله إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة
قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك
الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وقرئ أتوه وأتاه
وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى
الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره
وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح
السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر
مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة إذا تحركت لا
تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بأرعن مثل الطود تحسب أنهم
وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة
الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان
كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة
والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب
حيث قال صنع الله الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب
من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل

وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة
الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره
ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر
ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد
بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى
قوله صنع وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة
التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف
الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل
فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة
وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع التنوين فزع

ما الفرق بين الفزعين — الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند

الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق
الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة
اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب

فمن قرا من فزع بالتنوين ما معناه — يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب
لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الا
خبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو
خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل
السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار
في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على
وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم

عند الكب باضمار القول امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده
بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على
ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى
اليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها
لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى
الله عليه حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة بوجهه الكريم فقال اني اعلم
انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليه اشارة
تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته
بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها
محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل
دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان
ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في
سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك ورحمتك
التي حرمتها واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن
اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول
في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن
ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره
ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم
الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة
يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق وما حل من نقمات الله
في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه
فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من

الحزورة واحدة الحزاور وهي الروابي الصغار
دبوار

ورا جزاء العاملين قرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به
وهود وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين
كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان
التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير
للمجمل كان قائلا قال وكيف نبأهما فقال ان فرعون علا في الارض بغى في ارض
مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما
يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى   وبلدة يرهب
الجواب دلجتها   حتى تراه عليها يبتغي الشيعا   او يشيع بعضهم بعضا في طاعته
او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن
لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم
بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان
كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على
ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب
فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام
مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل
ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق او كذب
علام عطف قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد
هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا
لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان تكون حالا
من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم   كيف

يشيعه اي اتباعه

نجمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف
الى وقت آخر   لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع
جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا
يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد
دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون
وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد عليه
او يرقد فوطاه ومهده ونظير ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض
مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام
الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان
وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود
منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر   ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الآخر   اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح
خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن
الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان
وغير ذلك من المخاوف   ما الفرق بين الخوف والحزن   الخوف غم
يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت
عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها
غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى
تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل
الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني اليوم فعالجتها فلما
وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم
قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما
وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته

فلان لا يغث عليه شيء اي لا يمتنع ولا يغث
[illegible]

في تنور مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت وقد جعل الله النار عليه
بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقيه في اليم وقد
روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله
اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن
معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم تكن داعيتهم الى الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم
له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة
المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه
اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه
الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء
فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم
الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين
او خاطين الصواب الى الخطاء روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا
فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت
لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه
شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل
لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه
فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فائذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية
قرت عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو
لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه
كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم

بقتله وروي انها قالت له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين
خبر مبتدإ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان
اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت
من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة
المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك
وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها

ذو حالها آل فرعون وتقدير

الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا
وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله
ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة
لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا
صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها
من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه
بيت حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز
العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا
وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة
ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون
من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها
فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه
ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه
الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني

النخب الجبان الذي لا فؤاد له

قرع الفناء اذا لم يكن عليه غاشية وزوار كذا قال القتبي

فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمزة جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم
كأنها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه وقصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ
فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ
عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت
اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم
التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور
وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم
ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له
ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم
للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم
فجاءت بها والصبي على يدي فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع
فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد
ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت
واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت
علمها ويتمكن كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها ما
كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة
وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها
حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت
التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون
موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه

قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه
ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر
لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب
الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون
سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم
السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله
والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل
فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين
العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم
وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا
على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل
وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر
الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع
وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله
لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه
لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج
ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان
يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة
فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبته
فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم

والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس
لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه
ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين
قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة
واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن
استعملها الا في مظاهرة اولياءك اهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب
احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال
فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ
يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا
اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر
في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما
قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله قيل
الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا للرجل
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل
صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران
ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاو
رون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له في الطريق
او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام
سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان
وكان موسى صلى الله عليه لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم
بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج

حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه
ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماؤهم الذي يستقون
منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره
ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم
في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان
على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل تكرهان المزاحمة على الماء
وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر
لتسترهما ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما
من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال
شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون
والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام
وقيام كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة
كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل
اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه
دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها
في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم
عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل
هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد
ازدحمت امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من ورائهم
مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما
وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله
من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره

وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب
ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم
ومذاهبهم   لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان
ولا نسقي   لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما
كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا
وكذلك قولهما حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي   كيف جوابهما
سؤاله   سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير
السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر
فلا يصلح للقيام به أبلتا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما   كيف
ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت
الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك
والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل
البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة إلى أي
شيء أنزلت إلي قليل أو كثير غث أو سمين لفقير وإنما عدي فقير باللام لأنه
ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه من
الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت
إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة
قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحياء
في موضع الحال أي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي أنهما
لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها
موسى فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق

فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا
كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية
أما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا
كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه
وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع   كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف   يجوز
أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب
وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدإ كيف
وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق
بأن يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل
ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للأجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي
أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت
لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه
ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أي جزاء سقيك والقصص مصدر
كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء
هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن
عباس رضي الله عنه أن شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته
فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها
بالمشي خلفه وقولها إن خير من استأجرت القوي الأمين كلام حكيم جامع
لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم
بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي
سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته

كيف جعل خير من استأجرت اسماً لإن والقوي الأمين خبراً — هو مثل
قوله ألا إن خير الناس حياً وهالكاً أسير ثقيف عندهم في السلاسل في أن العناية
هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً وورود
الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعملت
لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب
يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر روي أنه أنكحه صفراء وقوله هاتين
فيه دليل على أنه كانت له غيرهما تأجرني من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته
إذا كنت له أباً وثماني حجج ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول
الله صلى الله عليه أجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فإن
قلت كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز — لم يكن ذلك عقداً
للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقداً لقال قد أنكحتك ولم
يقل إني أريد أن أنكحك — فكيف صح أن يمهرها إجارة نفسه في رعية الغنم
ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى إلى أبي حنيفة رضي الله عنه كيف منع أن يتزوج امرأة
بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة
لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالاً وهو العبد أو الدار قلت
الأمر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج على الإجارة
لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً ولعل ذلك
كان جائزاً في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئاً آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه
هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إني أفعل
هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية
ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج
عبارة عما جرى بينهما فإن أتممت عمل عشر حجج فمن عندك فإتمامه من عندك والمعنى فهو من
عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين

ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر — حقيقته
وإيجابه
أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا
أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره
له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في
مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالاً خارجة
من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات
الناس ومنه الحديث كان رسول الله شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري
ولا يماري وقوله ستجدني إن شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح
حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على
العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد
من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن
شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو إشارة إلى ما عاهده
عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا
يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل
قضيت من الأجلين أطولهما الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثماني فلا
عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه — تصور العدوان
إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق
العدوان بهما جميعاً — معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر
كان عدواناً لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني أراد بذلك تقرير أمر
الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير
تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها
وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون معتدياً وهو في نفي العدوان عن نفسه
كقولك لا إثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أي الأجلين ما قضيت

وقرئ ايماء بسكون الياء كقوله   تنظرت نصرا والسماكين ايهما   علي من الغيث استهلت
مواطره   وعن ابن قطيب عدوان بالكسر   ما الفرق بين موقع ما
المزيدة في القراءتين   وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها
وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي
له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت
عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصا الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل
البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخرج عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء
يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها
فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد
موت آدم وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في
صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في
يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم
بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم
يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح
قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها
مفرق الطريق ومفرقه الذي يتشعب منه طريق آخر
اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر
على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل
فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية
والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح
وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل
ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى
فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله

صلعم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفا
هما وتزوج صغرهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات
الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها   جزل الجذا غير خوار ولا دعر   وقال
والقى على قبس من النار جذوة   شديدا عليه حرها والتهابها   من الاولى والثانية اي
اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ
الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون
وضم وسكون وهو الخوف   ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب
فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع
واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك
فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك
مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو
غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يد الانسان
بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم
جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه
وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من
فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان
اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب
بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر
خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من
اي يخرج عنك فزعك كما يخرج الفرخ من البيضة
نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم
اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه

لف

اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين ولكن خو
بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض
في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب قد جعل
الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم
اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما المراد
بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين
ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم
اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات
الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه
المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان ليلة المناجاة
الا زرمانقة من صوف لا كمي لها قرئ فذانك مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك
جبة من صوف كلمة اعجمية [illegible]
والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان لم سميت الحجة
برهانا لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير
العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها يقال ردأته
اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به
قال سلامة بن جندل وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول
وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب يصدقني بالرفع والجزم صفة وجوابا
نحو وليا يرثني سواء تصديق اخيه ما الفائدة فيه ليس الغرض بتصديقه
ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق
ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار
مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو
افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت

العارضة [illegible] ويقال [illegible] لذو عارضة [illegible] كان قادرا [illegible] الكلام [illegible]

فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه
الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا
ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة
وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب
كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون
وقراءة من قرأ ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني العضد قوام
اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد
ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك
باخيك سنقويك به ونعينك فاما لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد
العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة
باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما
سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون تمتنعون منهم باياتنا او هو
بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تاخر لم يكن
الا صلة ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم
سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او مو
صوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال
منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم
ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم
لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه
بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم
من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها يقول ربي اعلم منكم بحال
من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى

ينفع نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم
لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار
هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها
ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان
تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر
قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا
الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل
فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير
واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرا ابن
كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع
موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة
سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر
بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين
الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان
العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ
الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان
احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على راسه يبني فبعث الله جبريل
عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع ووقعت قطعة على عسكر
فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب
ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه
فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم

فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد
بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وعلا قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم
تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به
موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده
بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده
ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته
الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا
كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه
ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى ولئن كان جاهلا مفرط الجهل وبصفاته حيث
حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد
في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط
جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم
اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة
وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم
بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول
الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة
لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم
ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على
الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة
ولان هذه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته

سراتهم في الفارسي المسرد ومعنى ظنوا استيقنوا
وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك

وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره وردفه بالإيقاد على الطين
منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه حين
سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى
بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى
الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وعلا وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء
الشأن قال رسول الله صلى الله عليه فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل متكبر سواه فاستكباره بغير الحق
يرجعون بالضم والفتح فأخذناه وجنوده فنبذناه في اليم من الكلام المفخم الذي دل
به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم
وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن
في البحر ونحو ذلك قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال
فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور
وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته   ما معنى قوله وجعلناهم
أئمة يدعون إلى النار   معناه دعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم
أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا
وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله
جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة
لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى
الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي
لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم
والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة

وإلى سوء عاقبته   وأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة
ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع
الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا
أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر
منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة
على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كأنه قيل
وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين
أي من المطرودين المبعدين بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي
يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة
أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإر
شادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها و
وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة
بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله
يتذكر الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات
موسى من الطور وكتب الله في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي
أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه يقول وما كنت حاضر المكان الذي
أوحينا فيه إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه
وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى
من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة في الألواح وغير ذلك   كيف يتصل
قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له
اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث إن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد
الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم

فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك
وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى و
وماجرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل
به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين
بعده وماكنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو
عليهم اياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه
ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة
المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم
من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه
قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف
والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم
الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد
والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت
الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم
انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب
في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه القول المقصود
بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول
وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب لارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية
ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن
اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم

وقد عاينوا ما ألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان
بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا
يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول
بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من
اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب
الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز
مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا
حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت
والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما ذلك اولم يكفروا يعني
ابناء جنسهم ومن مذهبهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي
موسى وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على
هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي
تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر وجعلوهما
سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد
منهما بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير باولم يكفروا
ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة
كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقران فقد كفروا بموسى و بالتورية وقالوا في محمد
ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين
بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسئلونهم عن محمد عليه السلام
فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش
فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا هوا هلك

فيهما مما انزل على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط
المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من
الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف
الشك التهكم بهم ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية
وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذلك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت
هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف
الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه
او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه
فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فالاستجابة تقتضي دعاء
ولا دعاء ها هنا قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر
بعث على الفعل ودعاء اليه وكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع
الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله
اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع
الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف
والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا و
عبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم
نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن
قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل
اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام و
الضمير في من قبله للقرآن اي فرق بين الاستينافين انه وانا

قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن
به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد
وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرؤا
في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده
ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد
مصدق للوحي بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان
بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم
على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة
السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع
ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم
وصحبتهم من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم الآية
غير الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت لا تقدر
ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم
لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام
من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع
فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين
بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في
ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه يا عم تأمرهم
بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد
منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله
اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال
جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي

لقلتها ولا اقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قال قريش وقيل
ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف
ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من
ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته
وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون في حرمهم لا يخافون
وحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب
فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام
فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت
حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه تجلب
وتجمع وقرئ بالتاء والياء وقرئ يجبى بالنون من الجبي وتعديته بالى كقولك يجبي المفيد ويجبي
الى المنافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل
شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون بان ذلك رزق
من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يتفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان
الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداد
ثم انتصب رزقا ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبي
اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى
مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة
هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود
في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب
ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه
واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت
معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا

في السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة
ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم
لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها
على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض يتخلف الاثار عن اصحابها
حسا ويدركها الفناء وما كانت عادة ربك لن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث
في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام
الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان
يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه خاتم
الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه
عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم
مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم
حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما
منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال
وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلائل وهي مدة الحياة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه
من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة
وعن ابن عباس رض ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن
والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الاية
تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم
والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله و
لقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار
ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون وقيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابي جهل لعنه الله وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن
المغيرة فسر لي الفائت وتم واخبرني عن موافقها فذكر في الآية
التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه
على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا
فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود
مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار
عن حال التمتيع لا للتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل
عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو لهو احسن
لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم
وفيه تهكم زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا
فاين هما محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف
المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم
القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب
عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم
الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا
يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء
او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا
لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم
وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم
الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل
عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك
صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان

ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث
قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق
لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا
يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين
لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم
كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه وتمنوا لو انهم كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا
فلا يهتدون طريقا حيلة او لا يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين
او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين
هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم
وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال
الرسل واذاحة العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا
لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما الناس في المشكلات لانهم يتساوون
جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ
الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم
يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك
قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام
الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين من الشرك
وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق
ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الخيرة من التخير
كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد
خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار

سدروا اي تحيروا

ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه
الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو
خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم ومن قولهم في الامرين ليس فيهما
خيرة لمختار فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما
موصولة اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله
ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم
عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار ما تكن صدورهم من عداوة
رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره
في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك
كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد
في الآخرة هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي
الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده ارايتم وقرئ
ارايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا
والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة
سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان
قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه
ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف
في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل
افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون

ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو
الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه
الآية طريقة اللف وفي تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله
من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل
توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة
هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق
لله ولرسوله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف
للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه
انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى
ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة
ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان
الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة
والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى
فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما
ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى
تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل بان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها
في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا
واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون
ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون
على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله

ولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح
به وقيل هي الخزاين وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله
حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزاينه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح
على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك
بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء
بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة
والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله
ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القايل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح
بالدنيا الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه
عن قريب لم تحدثه نفسه وما احسن ما قال القايل اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا المتنبي وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة
بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى
الآخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد في الارض
ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القايل موسى عليه وقرئ واتبع على اي على استحقاق
واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرايل
بالتورية وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم
علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما
قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل
هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول
لا امر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما
اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا ويجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان

الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التوراة واخبر
به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من
العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال
اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به مصارع الها
لكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا ما وجه اتصال قوله ولا
يسال عن ذنوبهم المجرمون بما قبله لما ذكر قارون من اهلك من قبله
من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على
ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سوالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم
عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك في زينته قال
الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج
من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر
وعن يمينه ثلثماية غلام وعن يساره ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر كان
المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما
هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل
كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد
هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل
ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله
صلى الله عليه هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد والبخت والدولة
وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا
الا احاظ وجدود ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل

تبقى

اثيب بالمحبة

والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة
او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات عن
الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون يوذي نبي الله موسى صلعم
كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار
على دينار وعن كل الف درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل
وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا و
سيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا
وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه
ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال
قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان
تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله قد بعثني الى قارون كما بعثني
الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير
رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى و
يناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت
عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياك
دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبح بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا
موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله من
المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من

من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل
يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي
مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا
على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا
كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو
مذهب الخليل وسيبويه قال وي كان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر
يعش عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه
وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح
الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر
اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافر
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي كانه ومنهم
من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير
الله ولا نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها
يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق
الوعيد بالركون وعن علي رض ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك
نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا
وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل
العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض
ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك
الدار الاخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد
عمل السيئة اليهم مكررا افضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى القلوب

السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم
وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبع
مائة ومعنى قوله فله خير منها فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط
به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر
وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح
ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة
رسول الله صلى الله عليه عليها وقهره لاهلها لظهور عز الاسلام واهله وذل
الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها
انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة
في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم فنزل جبريل
فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه كيف اتصل قوله تعالى
قل ربي اعلم بما قبله لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي
اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في
ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم قوله
الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل
وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك
اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك وقرئ يصدنك من اصد بمعنى صد وهي في لغة
كلب وقال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم
بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان
كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين
ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به
عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه من قرا طسم القصص كان له من الاجر

من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة
انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى
انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت
زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام
دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على ذلك الوجه
من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك
فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية هو
في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا
هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول
تركهم غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام
ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا
كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وكان التاديب والمخافة
في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول احسب خروجه
لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا
وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة
الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط
وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم
وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول
بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو

صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص
من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله قد جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم
المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون
فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم
فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رض وهو
اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله
عليه سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه
ابواه وامراته ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان
وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن
والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل
معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي صلى الله عليه قد كان من قبلكم
يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط
بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن
الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه   كيف
وهو عالم بذلك فيما لم يزل   لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا
اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا
ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رض
والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او
وليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل

العيون وزرقتها ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة
وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة
فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع
فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم
لا يعجزون   اين مفعولا حسب   اشتمال صلة ان على مسند ومسند
اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن
حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من
حسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى
بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي
ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر
وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخط منها فمعنى قوله من كان يرجو
لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل
الله وهو الموت لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق
امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه
شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو
يخاف من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط   اذا علم ان لقاء الله عنيت به
تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال
من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لات لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان
يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد
نفسه في منعها ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة

اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم اما الذين يريد قوما
مسلمين صالحين قد اساؤوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم
فهو تكفيرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا
يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات
فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي
ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه
يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح
وذبيانية وصت بنيها   بان كذب القراطف والقروف   كما لو قال امرتهم
بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم
بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك
معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا لفرط
حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا
من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما
او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما
معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه
وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه
وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالاهيته والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم
وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا اراداه
على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم
وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما
لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير

من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع
والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي
حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله
لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر
بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره
رسول الله ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي نزلت في عياش بن ابي
ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة
فخرج ابو جهل ابن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة
امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة
الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى
تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار
عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما
عنهما وعصى عمر فقال عمر اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها
فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي
قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه
كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن
دين محمد فنزلت في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو
متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين
وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
الآية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد
بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين

عن الكفر او كما يجب لئن يكفون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم
اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم
ما قدر احرزان يقتسنا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم
بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء
من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين و
اوعد المنافقين قرئ ليقولن بفتح اللام امروهم باتباع سبيلهم وطريقتهم
التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر
وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول لئن تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن
منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في
المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه
على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور
بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما حكي ان ابا جعفر
المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير
المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال
له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن
كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على
الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن
ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا
على ما هو عليه   شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم
الى ان يفوا به فكان ضمانهم عندك لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين
خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم
قالوا ولكن وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم

ليجتمع

بينة للحلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم اخر غير
الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم
وليسئلن سؤال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل
وقرئ من خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على
رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة   هلا قيل تسع
مائة وخمسين سنة   ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان
يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكأنه
قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب
لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر
ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله
وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض
من استطالة السامع مدة صبره   فلم جاء المميز اولا بالسنة
وثانيا بالعام   لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالا
جتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل
او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او
ظلام ليل او نحوهما قال العجاج   وغم طوفان الظلام الاثبا اصحاب السفينة
كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام
وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس
نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة
والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة نصب ابرهيم باضمار
اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو
معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن

الاثبا : بضرب من النجم ساكن به كذا في المجمل

والعلم مبلغا صالحا فيه لان يعظ قومه وينصحهم عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى
وقرا ابرهيم النخعي وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم
ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم
بعين الدراية المتبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم وقرئ تخلقون
من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا فيه
وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب
من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم
الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم
خلقا للافك لم نكر الرزق ثم عرفه لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده
لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له
على نعمه وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قد كذبتهم اممهم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات
الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة
حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات
التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم
صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلعم
وشان قريش بين اول قصة ابرهيم واخرها اذا كانت من قول
ابرهيم فما المراد بالامم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم
نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع
الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب
فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض - هي حكاية كلام الله حكاه

ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه كلام الله على هذا المنهاج في اكثر
القرآن فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة
ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله وان يكون مسلاة له ومتفرجا
بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم
الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا
فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد
من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات
الواطئة عقيبها من ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم
الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه وقرئ
تروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدا وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست
الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة على البدء دون الانشاء ونحوه
قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه هو معطوف
بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو هو جملة قوله اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا
ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون من معنى يعيد دل بقوله النشاة
الاخرة على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع
واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشاء بعد انشاء
مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة كالرافة والرآفة
ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد
اضماره في قوله كيف بدا الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ
النشاة الاخرة الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك
الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء

ثم اذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابتداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه
الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشاء النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الاخرة
فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء تعذيبه
ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو
من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون
تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه
في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال
حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه
كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة
في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض
ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء بآيات بدلائله على
وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدي اي ييأسون
يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان
المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف
او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله
ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته ولا ان يأمن
عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا قرئ جواب قومه بالنصب
والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا
في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار
وذلك لذهاب حرها قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب
على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها

مودة بينكم

وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم
ولن يكون مفعولا ثانيا كقوله واتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة
بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون
خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان
مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة
كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رض اوثانا انما مودة بينكم
في الحياة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة
يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والا
صنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول
من آمن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي
من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم
هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين
سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي اجره الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر
والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه ما بال اسمعيل
عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره ما المراد بالكتاب
قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي
التوراة والزبور والانجيل والقرآن ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة
مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم
لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث

لمنتهم وقد رطبا عنهم فالوا لم يتنزه ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام
في الاول دون الثاني قاله ابو عبيد ووجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني
بحرفين الياء والنون وتقطعون السبيل بعمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ
الاموال وقيل باعتراضكم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان
ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح
وعن عائشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة
في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب
الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا
ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا يفسدون الناس
بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا
الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام
ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه بالبشرى هي البشارة
بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف
والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين
معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم
كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو
جدال في شانه لانهم عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو
بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن
لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة
لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون
نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين

وانه لا يشاهد ما يشاهدون تخفيض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ
لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا
احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد
من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة
عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة
كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت
ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرجز
والرجس العذاب من قولهم ارجز وارجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب
من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا منها من القرية
آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود
على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا او بينة وارجوا
وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء
والمراد اشتراطه بما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة
الشرط وقيل بمعنى الرجاء بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك
صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلادهم وارضهم او في ديارهم
فاكتفى بالواحد لانه لا يلتبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك
وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها
عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا
مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين
ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى
هلكوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه حاصبا لقوم لوط وهي ريح

ما عصف بها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون
والغرق لقوم نوح وفرعون والغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم و
تولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت
ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فإن
قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت
معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن
ووجه آخر وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح
أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان
لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن أوهن
ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإ
ضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت
إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها
دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا
توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم
فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة
أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة
وتدبير كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب
والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وتلك الأمثال والتشبيهات إنما هي
الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها
للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن عباده

وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين
ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين
كفروا الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها كم من مصلٍ
يرتكب ولا تنهاه صلاته الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها
الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى إنما يتقبل الله
من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي
على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين
الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى
عن الفحشاء والمنكر لم يزده بصلاته من الله إلا بعدا وعن الحسن رحمه
الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال
عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات
يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول الله إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال إن صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم
يلبث أن تاب وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء
والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر
واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى
عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة
موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله أكبر يريد وللصلاة
من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا إلى ذكر الله وإنما قال
ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله
عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من
اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم

عن حو

وعن ابن عباس رض من لم تأمره
صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر

اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب
بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء
والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل
الا الذين آذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله
مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل
الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه ما حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان
باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك
الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب
فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء
من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله
من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهدك منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها
وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم
كعب بن الاشرف واصحابه وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب
ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب
مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده   لم سماهم مبطلين ولو لم
يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل

مكة

مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب   سماهم
مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب وكانه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه
لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم
وبما جاءوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما
لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين
وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون
لو لم يؤمنوا به وهو غير امي   ما فائدة قوله بيمينك   ذكر اليمين
وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى
انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك
انه تولى كتبته فكذلك النفي بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه
وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه
اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ
الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما
يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون قرئ آية وآيات
ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات
عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل
وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير
على الله فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة
والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال او لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآ
يات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي يدوم تلاوته عليهم
في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية
بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في ذلك الآية الموجودة في كل مكان وزمان

الى آخر الدهر لرحمة

إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تنشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل
أولم يكفهم يعني اليهود إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم
من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناسا أتوا رسول الله بكتف قد كتبوا فيها
بعض ما تقول اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة
قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا
كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أي قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني
بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم
وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله
وكفروا بالله وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى
هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي أن
كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت كان
استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم
أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفا من السماء
ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك
الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله
عز وجل وعد رسول الله أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم إلى يوم القيامة وقيل
يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم لمحيطة أي ستحيط بهم يوم يغشاهم
العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم
أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم
على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم
ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ
بالنون والياء ما كنتم تعملون أي جزاءه معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة

في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم
قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع تتفاوت
التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب الأولون فلم نجد فيما درنا وداروا أعون
على قهر النفس وعصيان الشهوة أجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر
وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر
الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب
ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه من فر بدينه
من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق
إبرهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة
فإياي فاعبدون هي في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب وإياك فعشك في المخاطب والتقدير
فإياي فاعبدوا فاعبدون ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول
الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا
العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه
تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص لما أمر عباده
بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد ولو
شسعت ابتعه قوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت
هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل
وأثوى غيره وثوى غير متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز
مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف
إما إجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب نعم بزيادة الفاء الذين صبروا على

مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب
وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله لما أمر رسول الله من
أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة
ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم
تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي
لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضاً أيها الأقوياء إلا هو وإن
كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب
لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره إنما
تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة
وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها
وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم الضمير في سألتهم لأهل
مكة فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم
بأنه خالق السموات والأرض قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه
الذي رجع إليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا
لواحد يحتمل الوجهين جميعاً أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع
من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهماً مثله وأن يريد تعاقب
الأمرين على واحد على حسب المصلحة إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما
يفسدهم استحمد رسول الله على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله
ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقراراً عاطلاً كإقرار المشركين وعلى أنهم
أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة
للصنم ثم قال بل أكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على
بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون
لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف
لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن

أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وإن
الآخرة لهي الحيوان أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت
فيها فكأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت
الياء الثانية واواً كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيواناً قالوا
اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء
الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان
واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء
دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع
المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها بم
اتصل قوله فإذا ركبوا بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم
معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله
ولا يدعون معه إلهاً آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم إلى البر
وآمنوا عادوا إلى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة لأن تكون لام كي وكذلك في
وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود
إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف
ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله
في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى زيادة الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ
ولأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه
قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير كيف جاز أن يأمر
الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله

ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطاء وانه يؤدي الى ضرر
عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت
عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر
وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر وانما كانك تقول
له فاذا ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه
لتتبين لك اذا فعلت صحة راي الناصح وفساد رايك كانت العرب حول مكة
يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون
فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة
الخاصة ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة
المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم
افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم
بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت
سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون
الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه
اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان
استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار
دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم
والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق
هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا
مثل هذه الجرأة واطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب
مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا
ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير

وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين
جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم
وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا
فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله من
قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم القراءة
المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض
العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض
العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف
اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى
ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادانى
الارض والبضع ما بين الثلاث الى العشرة عن الاصمعي وقيل احتربت
الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر
مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم
اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من
كل واحد منهما فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه فقال البضع ما بين الثلاث
الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع
سنين ومات ابي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس

يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين
فأخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به وهذه
الاية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها
انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب
مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح
وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم
المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم
واضافة غلبهم تختلف باختلاف القرائتين فهي في احديهما اضافة المصدر
الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم
ولن يخلف الله وعده   كيف صحت المناحبة وانما هي قمار
عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة
ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربوا وغيرها جائزة في دار الحرب بين
المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين
ابي بن خلف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا
وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس
وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل
قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده
الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ
من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا
به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين
كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي
سعيد الخدري رض وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم

ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله مصدر مؤكد كقولك على الف درهم عرفا لان
معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد وشهدهم
الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات
ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم باصبعه فيعلم اردي هو
ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله
منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي
هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها
والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها
بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة
ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم
الاولى ولن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى والجملة خبر هم الاولى
ولن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد
على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم
ترجع في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم
اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة
تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة
للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف
معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام
دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح
وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة
وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت
الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا

وانكم الينا لا ترجعون كيف سمي تركهم غير راجعين الى الله عبثا والباء في قوله
الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه
ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى
ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به اذا جعلت في انفسهم
صلة للتفكر فما معناه معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير
دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر
امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر
الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت
والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم
الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول
تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها
تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل
مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو
الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا
ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة
اي من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة ولئن كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره
اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب
تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو الاقبح
كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم

السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون
ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول
نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه اخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا
الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما
يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ
بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكنا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم
ينبس وييئس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام
من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم
كافرين اي يكفرون بالهيتهم ويجحدونها او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب
شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى
بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في
يتفرقون للمسلمين والكافرين بدلالة ما بعده عليه وعن الحسن تفرق
المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة
فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها
وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم
احسن من بيضة في روضة يحبرون يسرون بعض النعامة يحبرون يسرون
يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل
لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن
ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع
في الجنة وعن النبي صلى الله عليه انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي
ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات
لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء

بعد سبعين فاكل بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة
فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا
يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد
والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره
الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من
نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس
في القرآن قال نعم وتلا هذه الاية تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة
الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله
حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على
المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه لم ذهب الحسن
رحمه الله الى ان الاية مدنية لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس
بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان
الخمس انما فرضت بمكة وعن عايشة رض فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم
رسول الله المدينة اقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلعم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الاية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين
يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون
والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
معنى فيه الحي من الميت الطاير من البيضة والميت من الحي البيضة من الطاير
واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان

في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج
الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التاء خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره
ثم فاجاء وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها
خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر
وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين
المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان
لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة
او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة
منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه
واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل
ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان الالسنة
اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى
لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق و
احواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع
التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية
فيعروك الخطاء في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك
اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة
التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام و
كسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف

وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع
فيه كشي واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل
عليه القرآن يسمعونه بالاذان الواعية يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل
منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل
وقالوا ما تشاء فقلت الهو   الى الاصباح آثر ذي اثير   خوفا من
الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر
وهما منصوبان على المفعول له   من حق المفعول له ان يكون
فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك   فيه وجهان احدهما
ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين
البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة
طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين
وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما
بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما
على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة
موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج
الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد
سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال
القائل   دعوت كليبا دعوة فكانما   دعوت به ابن الطود او هو اسرع
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات
والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول
يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر

اثر ذي اثير اول كل شي

كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته من مكان
كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من
اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي   ثم تعلق
من الارض ابالفعل ام بالمصدر   فهيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
ما الفرق بين اذ واذا   الاولى للشرط والثانية للمفاجاة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها
قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون عليه
فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم
صنعة شي كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع
اذا اخطا في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر
في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت
عليه   لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة
معناه وان يعيده اهون عليه   لم اخرت الصلة في قوله
وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين   هنالك قصد الاختصاص
وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين
هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما
يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير
المعنى   ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها
فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك
الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير
في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه
في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل
في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين وجه

قلت ح

الكبد الشدة والمشقة هكذا فسر ابو عبيدة حمه

وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وبين ان
لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها
واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما
يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع
وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان
يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان
الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل
الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت
ادخلها في التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون
من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف
في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز
عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز
الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد
المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية
ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات
والارض اي قوله هو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير
الاول اي فرق بين من الاولى والثانية في قوله من انفسكم مما ملكت
ايمانكم من شركاء الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب
شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد
كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه
على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم
وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار والعبيد لن تجعلوا بعض

افتات عليه بامر كذا اي فاته به

هذا امر

عبيده له شركاء كذلك اي مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف
صور الشرك بالصورة المستوهنة الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم
عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله من خذله
ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم
من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك
له وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته
عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه
نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة
الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله
منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف
على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم
قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل
مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى
منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي
خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا
بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير
فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم
جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم
تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف

اموالهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب
منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا
مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع
فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه الضر الشدة من هزال
او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز
مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال
تمتعكم وقرا ابن مسعود وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه
ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو
يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز
ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون
ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك
يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقناه رحمة اي نعمة من مطر
او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض
والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه
هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون الله تائبين
من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته حق ذي القربى
صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج
ابو حنيفة رضه بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين
عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس
سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فآت
ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت
ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله
يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا

وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله
لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الاية في معنى قوله
عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة
الربوا من ربوا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك
فيه وما آتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة
ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير
المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت
في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي
له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض
لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر
منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي
الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه
او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي
الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه
قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم
المضعفون فهو امدح من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون
به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه اخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك
هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول
املأ بالفائدة الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله فاعل هذه الافعال
الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم
اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح
ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ

لان معناه من افعاله ومن للاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة
بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والقحط
وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس
والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق
البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت
الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر
وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة
العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس
بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان
جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما
بعث رسول الله رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور
الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك ما معنى قوله ليذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله
قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل
ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام
مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم
ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا الفسوق والمعاصي في الارض لاجل
ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم انه لما تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث
امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة
بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب
تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة
الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل

ان يأتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد
على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد
يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فمن كفر
فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره
كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما
يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه
وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان
يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق امك فرشت فانامت
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر
لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي
متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب
من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد
حصول ما وجب له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل
هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير
الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي
رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة
بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح
الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه اذا كثرت
المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب
وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح
قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها

نغص عليه مضجعه واقض اذا خشن واقضضت انا قضضا اذا القيت طعاما فيه قضض والقضض ارض ذات قضض حصى

وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا
نعمة الله فيها ثم تعلق وليذيقكم فيه وجهان ان يكون
معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق
بمحذوف تقديره وليذيقكم ولتكون كذا ارسلناها اختصر الطريق الى الغرض
بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا
عن ذكرهما وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع
من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابغة ومزية حيث
جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم
ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم
يبتدا علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله ما من امرئ يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله وكان
حقا علينا نصر المؤمنين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا قطعا تارة فترى
الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء و
شقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم
من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول
وبعد فاستحكم باسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
بذلك قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي
الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي
يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة
المقدورات بدليل الانشاء فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث
واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان آثار الرحمة
النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت

ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم
سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن
ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا
اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم
المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا
وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان
يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا النعمة ويحمدوه عليها فلم يزيدوا
على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر
لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصفر
له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك الصفرة حادثة وقيل
فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر قرئ بفتح الضاد
وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال
قراتها على رسول الله صلى الله عليه من ضعف فاقراني من ضعف وقوله
خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس
امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا
اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى
بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ
الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم
وقيل من ضعف من النطف كقوله من ماء مهين وهذا الترديد
في الاحوال المختلفة والتغير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر
دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير الساعة القيامة سميت
بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا

والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى
البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم
أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم
وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون
أو يخمنون كذلك كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق
والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك
الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة القائلون
هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح أو في علم الله وقضائه أو
فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك
بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق
لتفريطكم في طلب الحق واتباعه   ما هذه الفاء وما حقيقتها
هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه
قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان
وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث فقد تبين بطلان
قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون
من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا
عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله   غضبت تميم أن تقتل عامر
يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم
والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى
لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون   كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض
الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين
أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم
غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني

غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم
من المجابين إلى إزالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا
عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم
لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن
قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى
طبع الله منع الألطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من
علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة
تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء والرين
إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين
وهم أعرف خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم إن وعد الله بنصرتك
وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة
والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا
يستبدع منهم وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب
ولا يستحقنك أي يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين قال رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد
كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي ويجوز
أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه
مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال
عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر
أو خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من

من اقامة الصلاة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس
الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل
عن الالمعي فانشد ولم يزده او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال
ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها اللهو كل باطل الهى عن
الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل
لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من
كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن
الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول
ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام
والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل
كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته
فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة
والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع
المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل
يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر
على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت
وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى
اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان
يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري
اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث
والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات
كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه
قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري

اما من الشرى على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شرى
كتب القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه و
اختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل
على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام
او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء
اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم
عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على
ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان
شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل
موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف
فان قلت فما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث
بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل
الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين اي بالتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع
عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله وتصدون
عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ولى مستكبرا زاما لا يعبأ
بها ولا يرفع بها راسا تشبيه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع
كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان
قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا
والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كان
المخففة كانه والضمير ضمير الشان وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم
الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد واما حقا فدال على الثبات اكده معنى

الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه
شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس
من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير
فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير
عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها
من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستأنفة او هي في محل الجر صفة للعمد
اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا
اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه
آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني
ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم
الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعد ضلال هو لقمن بن باعورا
ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف
سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث
داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل
كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا
وعن ابن عباس رضي الله عنه لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا
اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن
لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان اسود من سودان مصر
خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل
كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه
انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما
كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه
في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك قال صدق

ذكر لقمن

صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يسرد
الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل
فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح
شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم
امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب
فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا
خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير
الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمن ان هي المفسرة
لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث
على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده
احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته
كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة
الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه
عظمه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء يعني بعود
عودا على بدء وموضعه موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي
يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا
وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن
وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم
به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون
من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق
جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل

من اناب الي بزيد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك
علي ايمانك واجازيهما علي كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب علي الانسان
في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب
التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي انها
نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا
تشرب حتي شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا
فخرجت لما ارتددت الي الكفر **فان قلت** هذا الكلام كيف وقع في اثناء
وصية لقمن هو كلام **قلت** هو كلام اعترض به علي سبيل الاستطراد تاكيدا
لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك **فان قلت** فقوله حملته امه وهنا علي
وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر **قلت** لما وصي
بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله
هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم
مفردا ومن ثم قال رسول الله صلي الله عليه لمن قال له من ابر امك ثم امك
ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الي الحج علي ظهره
وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله
ولا يجازي والد فعاله **فان قلت** ما معني توقيت الفصال بالعامين **قلت**
المعني في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين
موكول الي اجتهاد الام ان علمت انه يقوي علي الفطام فلها ان
تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي علي ان مدة
الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب
ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع

الدرة كثرة اللبن من سيلانه العلالة ما تعللت به في العجلة العلالة بقية اللبن وبقية جري الفرس ٥

ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغني بالطعام
ثم ارضعته فهو رضاع محرم قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن
نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت
مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفي موضع
واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي
يات بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف بالخفايا
خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال
لاضافته الي الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي
ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي مغاصه يعلمها
الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفي الامكنة لان الحبة في الصخرة
اخفي منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب
فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا
استقر في وكنته وهي مقره ليلا واصبر علي ما اصابك يجوز ان يكون عاما
في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من اذي من يبعثهم علي الخير وينكر عليهم
الشرات ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام
ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه
بالنية الا تري الي قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ
برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا
ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت
عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا
مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من
معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون

مصدراً في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم
الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم
هذه الطاعات وانها كانت مأموراً بها في سائر الامم وان الصلوة
لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان
كلها تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره
وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا
تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح
مرحاً او اوقع المصدر موضع الحال بمعنى مرحاً ويجوز ان يريد لا تمش
لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي
كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس والمختال مقابل
للماشي مرحاً وكذلك الفخور للمصعر خده كبراً واقصد في مشيك واعدل
فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب
وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه سرعة المشي تذهب بهاء
المؤمن واما قول عائشة في عمر رض كان اذا مشى اسرع فانما ارادت
السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة
اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا
قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا
انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم
البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجرداً و
تفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون

يقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي
الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافاً وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل
اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان
جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن
رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان لم وحد
صوت الحمير ولم يجمع ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس
حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب
وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ
بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ
وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته ما النعمة
كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه حيوان واما غير
حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حياً نعمة
عليه لانه لولا ايجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة
لم كان خلق العالم مقصوداً به الاحسان لانه لا يخلقه الا لغرض
والا كان عبثاً والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه
غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه
فما معنى الظاهرة والباطنة الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة
والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلاً فكم في بدن الانسان من نعمة لا
يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام
والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة
الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة

وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان
وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى
في دعاء موسى صلوات الله عليه الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم
النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس معناه ايتبعونهم
ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب قرأ
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك
الى الله … ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله
… معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه
مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه و
التفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال
من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة
من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه قرئ يحزنك
ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك
كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله تعالى دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان
الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار
المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة
والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي
خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد
معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا
ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه قرئ والبحر بالنصب
عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان

الاشجار

الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب
ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده وبالتاء والياء … كان مقتضى الكلام
ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد … اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من
قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة
مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام
والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته
ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي … زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع
وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال … هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها
وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون
المعنى وبحرها والضمير للارض … لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم
الجنس الذي هو شجر … اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس
الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما … الكلمات جمع قلة والموضع موضع
التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله … معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف
بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها
كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم
الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل
هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله الست تتلو فيما انزل
عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج
من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها
اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا تتفاوت وذلك انه انما كانت
تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان
وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر

في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث كل واحد
من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر
إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ
دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما
كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته
يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى من تعاقب الحرفين كلا ولا يسلك
هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص
كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه
وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل
مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين
غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء
القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه
هو الحق الثابت الإلهية وأن من دونه باطل الإلهية وأن الله هو العلي الشأن
الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات بسبب أن الله هو الحق وأن إلها
غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل
يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين
وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة بإحسانه ورحمته صبار
على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات لكل مؤمن يرتفع
الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما
وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من
غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني
أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل
مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختار أشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد

لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر قال وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك
من غدر لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة
ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وقرئ لا يجزي لا يغني يقال أجزأت عنك
مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل
تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية و
يتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره
غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور
قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله
هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض
آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم
في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى
التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد
وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك روي أن رجلا من محارب وهو الحارث
بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة
متى قيامها وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر
وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت ما عملت أمس
فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه مفاتح
الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم
والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه
أهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع
الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة

للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل
شفاعته فضلا أن يشفع

رضى نا وتلاها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما المليت معرفته لا سبيل لاحد اليه
علمه علم الساعة ايان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير في بلد
لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من
الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت
عازمة على خير فعلت شرا وعازمة على شر فعلت خيرا وما تدري نفس باي ارض تموت وربما
اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها او اقبر فيها فترمي بها مرامي القدر
حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها روي ان ملك الموت مر على سليمان
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال
كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت
لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو
عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف
وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه
وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ
باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله
عليه من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا
عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب فان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع
تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع
بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع
مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته
قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله

بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا
ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام
يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجبا
منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم
في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر
اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه
فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير
كلامه وتمشيته   كيف نفي ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو
اقطع من الريب ونحوه قولهم افتراه   معنى لا ريب فيه انه لا مدخل للريب
في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر
ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما متعنت مع علمه انه من الله لظهور
الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم
من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل
محمد صلى الله عليه   فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة   اما قيام الحجة
بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم
لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون
على الترجي من رسول الله كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارون وان يستعار
لفظ الترجي للارادة   ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا ينصركم
ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم
على المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير الامر المامور به من الطاعات والاعمال
الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا

ونعها
الكبية اى
تجاى السبل فطم
وستوها وكمش كثر حمي علله
وغلب فقد طم ١٥

كما يريده ومن تفضيله الآتي متى متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال
الصاعد لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون
او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة
كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت
عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر
ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم
جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض
ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة
الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء
والارض مسيرة خمس مائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة
الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء والارض الى ان تقوم
الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف
سنة وهو يوم القيامة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ تعدون
بالتاء والياء احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما
اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن
واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان
وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه
فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه
ونحو قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل باضافة
الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسئلونك عن الروح
الآية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا اي قال القائل ابي
بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ أينا وانا على الاستفهام وتركه

ائنا

وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء
في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ
علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن
صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض
بم انتصب الظرف في اذا ضللنا بما يدل عليه انا لفي خلق
جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة
من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه
الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء
وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو
ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته
واستقضيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت
له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه
اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر
اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان
ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت
اليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم
الغصص وعداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة
من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان يكون الامتناعية قد حذف جوابها
وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به
كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد

لقاء ربهم

الآخر

به مخاطبا بعينه وكانك قلت ان اكرم واحسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي
وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا
يقدر لترى مايتناوله كانه قيل ولو يكون منك الروية واذ ظرف يستغيثون
بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك
وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة
الى الدنيا لاتينا كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الامر
على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب
على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل
ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد
لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم
والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة
اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة
فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها
تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم
بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا
تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم
ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون
كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى
ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم
عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله
صلى الله عليه في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله

صلى الله عليه اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم
قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء
فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس
وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله يصلون من صلاة
المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون
صلاة العتمة لا ينامون عنها ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على
البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة
اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك
واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه
العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين
وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا
في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت كان مؤمنا وكان فاسقا
محمولان على اللفظ ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله فاما الذين امنوا
واما الذين فسقوا ونحو قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك جنات
الماوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تاوي اليها ارواح
الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة الماوى على التوحيد نزلا
عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فماويهم النار اي ملجاؤهم

ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه صح

ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين
كقوله فبشرهم بعذاب أليم العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر
وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الأكبر
عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يرجعون
أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل
صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا
قمتم إلى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول
من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان
ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب
الأكبر إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من أفعاله
كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون
لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسرهم فحكمها حكم أفعاله
وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره
كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره
لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها
أنه شجر بين علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له
الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا
وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فإنك
فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن
الحسن بن علي أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك
فاسقا ثم في قوله ثم أعرض للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها
وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها
مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها

لا يستوون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا

استبعادا أن يترك الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا ابن حرة
يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن
رآها واستيقنها واطلع على شدتها هلا قيل إنا منه منتقمون
لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة
الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة الكتاب
للجنس والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه
مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله
فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ونحو قوله
من لقائه قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم قوله ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة
يهدون الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم
وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن
من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من
اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء ويوم القيامة وقيل من لقاء موسى
الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم
وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل
خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو
في أولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ
بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني
كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه
ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة
القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني أهل مكة يمرون في
متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد الجرز الأرض

التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لاتنبت
كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض اليمن
وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه
وقرئ ياكل بالياء الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان
المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع
المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه
كائن ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم
نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة
قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم
كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا
تستهزؤوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم
في ادراك العذاب فلم تنظروا   فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف
يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم
بدر   المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون
ايمانه عند ادراك الغرق وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة
عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرا ابن ابن السميفع منتظرون
بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم
هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله
صلى الله عليه من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة
القدر وقال من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين

آية قال فو الذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول
ولقد قرانا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا
من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن
واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن
فمن تاليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي
اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه
باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربا بمحله
وتنويها بفضله   ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار
في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول   ذلك لتعليم الناس بانه رسوله
بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه فلا تفاوت بين النداء
والاخبار الا ترى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره
بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك
لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم
على شيء ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم
اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان
رسول الله صلى الله عليه لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة
والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه
ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم
فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة ابن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي

ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله ارفض ذكر آلهتنا
وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين
وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع
الكافرين من أهل مكة دعوا رسول الله إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر
أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة أنهم
يقتلونه إن لم يرجع فنزلت إن الله كان عليما بالصواب من الخطاء و
المصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمرك به إلا بداعي الحكمة
واتبع ما يوحى إليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله الذي
يوحي إليك خبيرا بما تعملون فموح إليك ما تصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع
من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم
ومكرهم بكم وتوكل على الله وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره وكيلا حافظا
موكولا إليه كل أمر ما جعل الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة
ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل
للانسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر
من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير
ما يفعل بذلك فذاك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا مو
قنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا
له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف
فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان ولم يكن
الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة في النسب وعراقة
فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون
أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب
سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه

حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه أبوه
وعمه فخير فاختار رسول الله فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله
هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا
من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو
جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما
أكثر مما يفهم محمد فروي أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو
معلق إحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له ما فعل الناس فقال هم
ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك
فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا
في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد
قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان
قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول
نفس تأمرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وإدخال من الاستغراقية
على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لأمة الرجال ولا
لواحد منهم قلبين البتة في جوفه اي فائدة في ذكر الجوف
الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل
للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه
جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائي بياء وهمزة
مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد اللام وتظاهرون من ظاهر
وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر
وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل
من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة
عن اللفظ لبى المحرم إذا قال لبيك وأفف الرجل إذا قال أف وأخوات

لهن   فما وجه تعديته واخواته بمن   كان الظهار طلاقا
عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر
منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحشي منها وظهر منها خلص
منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي منها بمن والا فآلى في اصله
الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه   ما معنى قولهم انت علي
كظهر امي   ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن
بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية
عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود
بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما
عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض
جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع
بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك   الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو
الذي يدعى ولدا وانما جاء جمعه على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء
وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي   ان شذوذه عن
القياس كشذوذ قتلى واسرى والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم
النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه
حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق
ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين
ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها
من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي
يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى
نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال

فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين
فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين
والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا
على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى
لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم
فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل
الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء
دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى
عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول
لعمومه خطاء التبني وعمده   فاذا وجد التبني فما حكمه
اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان
عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب
ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف
النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه
عن الخطاء وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور
الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب
ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم
عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد
لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم
لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف
بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه

ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرأوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا
أو ضياعا فإلي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال
مجاهد كل نبي فهو أب أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه
أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام
وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة
رض لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات
عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك
لم تثبت لهن سائر أحكام الأمهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون
بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام
لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام وعز أهله وجعل التوارث بحق
القرابة في كتاب الله في اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث
أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بيانا
لأولي الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب
ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من
المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة
مم استثني أن تفعلوا   من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول
القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث
وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية
لأنه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد
بالأولياء المؤمنون والمهاجرون في الدين ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا
وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام وإذ كر

ط دينا

الإسداء والإزلال بمعنى وهو الإعطاء

حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم
ومنك خصوصا ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم
القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من قوله
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم
فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين
أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان
صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أممهم وتأويل مسألة الرسل
تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله   لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده   هذا العطف
لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليه نوح في الآية التي هي أخت
هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم
على غيره   مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله
عز وجل إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه
قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم
الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير
فما أراد بالميثاق الغليظ   أراد به الميثاق بعينه
معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الأجرام
والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين
بالله على الوفاء بما حملوا   علام عطف قوله وأعد للكافرين
على أخذنا من النبيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين
وأعد للكافرين عذابا أليما أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب
المؤمنين وأعد للكافرين اذكروا ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق

عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا
ذلك لقدم من قدمه زمانه
فإن قلت فقد قدم صح

اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله
عليه نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا
الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم
وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفاءت النيران واكفاءت
القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت
الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد
فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
صلى الله عليه باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه
وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف
وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن
قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت
قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة و
قائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد
وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تعملون قرئ بالتاء والياء
من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم
من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة
حتى نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها
حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة
الروع الحناجر راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام و
الشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد

ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان
انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها
وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنون خطاب للذين
امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين
هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم
فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن
المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون
وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف
زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى
الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي
زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج
الا غرورا قيل قائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس
والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور طائفة منهم
هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه
ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم
قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون
فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم
ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان وقرئ عورة بسكون
الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا
اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة تخفيف عورة
اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة

ما استأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك
وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على
فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة
التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم
واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي
الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ
لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون
السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان
الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله
والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين
سارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله
وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس رض عاهدوا رسول الله ليلة
العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد
ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسؤولا مطلوبا حتى يوفى به لن ينفعكم
الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب
كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من
السوء   معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى
المنع المعوقين المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم

انثالوا عليه من كل وجه انصبوا

من ساكني المدينة من انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة رأس لو كانوا
لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم
الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب
قل هلم شهداءكم الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم
انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا
اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون
عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليكم
في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا
ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك
الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شا
هدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة
على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد   هل
يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط   لا ولكنه تعليم لمن عسى
يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل
المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل
يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح
وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها
مما يذهب عند الله هباء منثورا   ما معنى قوله وكان ذلك على الله
يسيرا   وكل شيء عليه يسير   معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط
تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا
وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من

التهمه التقمه

المناضلة المراماة

للخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا
لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب
يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة وقرئ بدّى
على فعّل جمع باد كغاز وغزّى وفي رواية صاحب الاقليد بدّا بوزن عدّى ويساءلون
اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون
الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله
بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات
في مرحى حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه   فما حقيقة قوله
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم   فيه
وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به
اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ
من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة
بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو
ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا
وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله
من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب
وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله و
رسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه لاصحابه
ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر
فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او

او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره نذر رجال من
الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم
من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي
على وجه الارض فلينظر الى وجه طلحة   ما قضاء النحب
وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته
فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا
ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله   فما حقيقة
قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه   يقال صدقني اخوك وكذبني اذا
قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني
في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما
ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا
على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه
ولو كانوا ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا
المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله يوم احد
حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من
اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة
السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم
لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا
في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب
عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله
تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب

ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى واشتينا فا وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم
من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية
ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل
عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار
على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله
ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد
اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في
الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصل العصر الا في بني قريظة فما
صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال رسول الله تنزلون على حكمي
فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل
مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وقال
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة
خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمان مائة الى تسع مائة وقيل
كانوا ستمائة مقاتل وسبع مائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها
وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله جعل عقارهم للمهاجرين
دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه طعمة دون الناس
قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها عن الحسن فارس
والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة

كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير انه اراد بنساءهم دون
سالنه الانبيان ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله فنزلت
فبدا بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت
الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت
جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد
ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا
ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت
افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي
انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم
يبعثني متعنتا ما حكم التخيير في الطلاق اذا قال لها
اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت
لابد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة
واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما
يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور وهي عنده
طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والز
هري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع
شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رض خيرنا رسول الله فاخترناه
ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رض اذا اختارت زوجها
فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا
ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقول من في المكان المرتفع
لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين
اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن
اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن

أمتعكن متعة الطلاق المتعة في الطلاق واجبة أم لا المطلقة
التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه
وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان إحداهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على
المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة
فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة
حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة و
المتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن تكون
نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص من
خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها
ما وجه قراءة من قرأ أمتعكن وأسرحكن بالرفع ووجهه الا
ستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة من للبيان
لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر
فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن
رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به
ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث
الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح
منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة
النعمة على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي
ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون
الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة
ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية
من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى إن أبا حنيفة وأصحابه

لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا إيذان بأن كونهن
نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة
العذاب فكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه وقرئ
يأت بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف
على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ تقنت
وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما
ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى أحد في الأصل بمعنى
وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة
واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم
توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة
منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين إن اتقيتن إن أردتن التقوى
وإن كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا أي
لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض أي
ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنهن نهين عن الخضوع بالقول
ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ
بكسر الميم وسبيله ضم الباء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول أي فيطمع القول
المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث أو قولا
حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر
حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظلن وقرن
بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن

ولم يقل كواحدة من النساء لأن أحدا لفظ عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة

القارة الأكمة والقارة عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم

وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه
القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية
الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد
فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح
وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج
جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكوة
ثم جاء به عاما في جميع الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما
ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت
رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى
الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالا
رجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه
الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم
فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل
بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي
وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات
بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان
الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم
من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا

لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات

بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة و
قيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه ما نزل
قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم
بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم
وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت
القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله
والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع
لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله
والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق
في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل
شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه
او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله
صلى الله عليه من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف
لان الظاهر يدل عليه   اي فرق بين العطفين اعني عطف
الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين   العطف الاول
نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في
حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف
الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه
الطاعات اعد الله لهم خطب رسول الله زينب بنت جحش بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله
فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها

ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين
صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من
هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت
هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل
ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او ان قضاء
رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤا
بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره
كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة
الا من شانه كذا نعم ولكنهما وقعا تحت النفي كل مؤمن ومؤمنة
فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير
للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته
واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة
رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك
ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان
الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها
ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن
والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله
اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد
احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي
تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان
انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب

ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتز
وجها رسول الله ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم
عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار
ما اراد بقوله واتق الله اراد واتق الله فلا تطلقها
وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله
فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج ما الذي اخفى في
نفسه تعلق قلبه وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل
علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة رض
لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية فما
ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة
ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها كان الذي اراد منه عز وجل
ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره في ذلك
علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب
في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في
حديث ارادة رسول الله قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رض
بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله
فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد
كيف عاتبه في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء
الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول
والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف
النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحي

من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب
عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلّماً الى حصول واجبات يعظم
اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه
السنتهم الا من اوتي فضلاً وعلماً وديناً ونظراً في حقائق الامور ولبوبها
دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا
مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله
يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم
بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق
عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا
في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح
بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضاً وهو خطبة زينب ونكاحها من غير
استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه
بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل
كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكراً عندهم
ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجناً اذا نزل عنها ان ينكحها
الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى
ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر
واذا كان الامر مباحاً من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا
مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجراً مصالح ناهيك بواحدة
منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت
اماً من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة

في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك
زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات
في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق
ولن كان مراً الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس
والله احق ساهي واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفياً
في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشياً قالة الناس وتخشى الناس
حقيقاً في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى
لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه
وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت
عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت
زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذي
لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك
ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه الا كذلك وكان امر الله
مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا
مكوناً لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ومن
نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن
عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله
المكون لانه مفعول بكن وهو امر فرض الله له واوجب من قولهم فرض
لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع
موضع المصدر كقولهم ترباً وجندلاً مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج
كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم

في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم
المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان
ثلثمائة وسبع مائة في الذين خلوا في الأنبياء الذين مضوا والذين يبلغون
يحتمل وجوه الإعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح
على هم الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون
إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه حسيبا
كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية
من مثله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى
يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن
كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم
له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين
الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه
حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم
النبيين يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم
الأنبياء كما يروى أنه قال في إبرهيم حين توفي لو كان عاش لكان نبيا
فإن قلت أما كان أبا للطاهر والطيب والقسم وابرهيم قلت قد أخرجوا
من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال
والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فإن قلت أما كان
أبا للحسن والحسين رضي عنهما قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما
أيضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه قصد ولده خاصة لا ولد ولده
لقوله وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما
على الأربعين والآخر على خمسين قريب ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد

وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله
من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها الطابع
وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه
آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل
عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته اذكروا الله أثنوا عليه بضروب
الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة
وأصيلا أي في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله
على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن مجاهد
هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان أعني اذكروا وسبحوا موجهان
إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة
الذكر وإنما اختصه من بين سائر أنواعه اختصاص جبريل من
بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته
عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال
فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أد
ناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من
كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على
العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير
الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة
الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلوة في جميع
أوقاتها لفضل الصلوة على غيرها أو صلاة الفجر والعشائين لأن
أداءها أشق ومراعاتها أشد لما كان من شأن المصلي أن ينعطف

في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض
في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه
قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف هو الذي يصلي عليكم ان فسرته
بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم هي
قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة
والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك
الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك
الله وسقيتك عليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون عليه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى
الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية
الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة ويروى
انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله
بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يفعل بهم
سائر انواع التعظيم ولن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت
والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور
وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر
الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله
لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وكيف كان شاهدا وقت
الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها هي حال
مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد
غدا قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا مأذون له في الدعاء فما فائدة
قوله باذنه لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل
والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما

فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك
والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان
بان الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح
انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد
التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج
المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار
ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام
وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها
من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل
وذا سراج منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على
كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر
المتفضل به وكثره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب
من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر
الامم وذلك الفضل من جهته وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين
معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته
الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم
وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم
عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله
فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف
وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين
لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل
الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض
عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع

وسراجا منيرا

وسراجا منيرا اي كتابا يبينا على معنى
وتاليا كتابا يبينا به

اذا هم لانه اذا ترك اذا هم في الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجلا او آجلا
كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان
من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من انارة
الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه النكاح الوطء وتسمية
العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما
لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في
سحابه سمى الماء باسنمة الابال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم
يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح
به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي
والاتيان   لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي
فيه المؤمنات والكتابيات   في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر
المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن
مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد
عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح
المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن
من نكاح المؤمنات   ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن
فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد
من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم
يطلقها   اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام
المساس   وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق
واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها
مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا

تمسكوهن ضرارا لتعتدوا   ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه
ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة رحمه الله
الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف
فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا
جميلا من غير ضرار ولا منع واجب اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع
وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد
لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما
فائدة هذه التخصيصات   قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه
بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثرة وذلك
ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله
ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها
عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا
يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا سباها مالكها وخطبها سيفه ورمحه ومما غنمه
الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي
طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالسبي
منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب
دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي
هاجرن مع رسول الله من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه
وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم
انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من
وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق
ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم تكن عند رسول الله
احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
بموته

خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ
إن وهبت على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام و
يجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى
وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير إن
ما بمعنى الشرط مع الأول ثم تقييد له شرط في الإحلال هبتها
نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله كأنه قال أحللناها لك إن وهبت
لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم
ثم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي
ثم رجع إلى الخطاب للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ
النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به
أبو حنيفة رض على جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله وأمته سواء في الأحكام
إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله بمعنى الهبة ولفظها
جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن
الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن
وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان
خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية
والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله على
سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم بعد
قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل
بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب
فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه

وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج
لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى
وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة
نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل
خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا
للواقع في الحرج إذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روي أن أمهات المؤمنين
حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله فهجرهن شهرا
ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك
ومالك ما شئت وروي أن عائشة قالت إني أرى ربك يسارع في هواك
ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن
وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيهن شئت
وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت
وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها
حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك
فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة
لا يبتغيها أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة
وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة
وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي
مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني
حتى أحشر في زمرة نسائك ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن وقلة
حزنهن ورضاهن جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل
والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما
للأخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب

التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم
فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على
تواطي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله وما فيه طيب
نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى
ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما
آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن في آتيتهن لا يحل وقرئ بالتذكير
لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع
نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان
تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء
على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن
عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت
زمعة ام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث
الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية من في
من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه
لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من
الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم
التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك
وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن
حصن دخل على النبي صلى الله عليه وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة
اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادر
ركت ثم قال من هذه الحميلة الى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين

قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه ان الله قد حرم ذلك فلما
خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد
قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله حتى احل له النساء تعني ان
الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك
وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل
وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره
مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر
بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء
رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
ان يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تد
خلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي
الا وقت الاذن لا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء
المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن
لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا
وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا
صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضميره ما هو له ان
يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام
ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله حميم آن بالغ اناه وقيل
اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله اولم
على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا
يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا
ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام

رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت
فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات
فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله
شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث
نهوا ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن
يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف
على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله فيستحيي
منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان
اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض
الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا
ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله
لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحيي بياء واحدة الضمير في سالتموهن
لنساء النبي صلى الله عليه ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة
فسلوهن فسلوهن المتاع قيل ان عمر رض كان يحب ضرب الحجاب عليهن
محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن
ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد
فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل
فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا
الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام فنزلت اية الحجاب
وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات
محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله

ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله
لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بما طيب به نفسه وسر
قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه لا يخلي
منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا
تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا
بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب
فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها
تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض
الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله
عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد و
خاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل
روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب او نحن
ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن
في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين
وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما
وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا
النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب
وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن
واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في
الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله

في كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الأحوال
قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين
ووجهه عند البصريين أن تحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا
أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله
ويسلم   الصلاة على رسول الله واجبة أم مندوب إليها قلت
بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره
وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويروى
أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على
النبي فقال عم هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به
إن وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله   اللهم
لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم
فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك
الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل
في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من
أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار   فالصلاة عليه في الصلاة
أهي شرط في جوازها أم لا   أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطا وعن
إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك
أيها النبي وأما الشافعي فقد جعلها شرطا   فما تقول في
الصلاة على غيره   القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله هو الذي
يصلي عليكم وقوله وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم
صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل
التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل

البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله
ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم يؤذون الله ورسوله فيه
وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه
من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون
به رسول الله من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازا
فيهما جميعا وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله لئلا أجعل العبارة
الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله وقيل
في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة
والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين
يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم
ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي
فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني
وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل
خلق الله وقيل في أذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون
وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية
بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات
لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات
فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل
نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رض ويسمعونه وقيل في الذين
أفكوا على عائشة رض وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف مؤمنا
وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر

للمرأة الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها
وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق
إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد
مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها
ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة
أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية
متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان
وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن
في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها
أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف
وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله
ذلك أدنى أن يعرفن أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا
يلقين ما يكرهن   ما معنى من في من جلابيبهن
هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض
ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالأمة
والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض
جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين
سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب
ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها
والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن
أراد بالانضمام معنى الإدناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل الذين في قلوبهم مرض
قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل

الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون
بأخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت
وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة
لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون
عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار
السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوؤهم وتنوؤهم ثم بأن تضطرهم
إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون
ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على
الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب
عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب
على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين
ما موقع لا يجاورونك   لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن
يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك   أما كان
من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا
على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع
ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي
سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني
كما قتل أهل بدر وأسروا كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام
الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى وقتها
في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم
يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا

للمستحثين قريبا شيئا قريبا ولان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب السعير
النار المسعورة الشديدة الاتقاد وقرئ تُقَلَّبُ على البناء للمفعول وتَقَلَّبُ بمعنى
تتقلب وتُقَلِّبُ اي تقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها
في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة
الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين
منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده و
يجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو
اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ سادتنا وساداتنا
وهم رؤسا الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه
وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف
والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف وقرئ كثيرا لتكثير الا
لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا للضلالة وضعفا
للاضلال يغترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك لا تكونوا كالذين
آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس
وقيل في اذى موسى هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها
وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته
الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله
فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله
على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى
ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة
وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت
خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة
عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك   قوله

مما قالوا ومعناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما
كان فكيف تصح البراءة منه   المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه
وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا
سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال
سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد
نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث
على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير
كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم
الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة
سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة
مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسوله
وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر
مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ
فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله
وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة ويريد بالاما
نة ويريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما
ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت
لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت
له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته
ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا
اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به
من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال
تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد

بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على
الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان
حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن
ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها
الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة
له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل
له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل
اخوك الذي لا يملك الحس نفسه   وترفض عند المحفظات الكتائف اي لا يمسك
الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم
ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه
اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها
وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا
لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني
ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله
من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به
واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا
حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من
الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك
قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم لهم من امثال
على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض
ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر
السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته
اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها

القائل

قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين
وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
في وجهه وكل واحد من الممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة
وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال
في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه
شيئا والمشبه به غير معقول   الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم
اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كالمحققات
مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت
على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها واللام
في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة
كما ان التاديب في ضربته نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل
العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة
ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب
على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله
عليه من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان
من عذاب القبر

والممثل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه
من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية
كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك
تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على
نعم الآخرة وهي الثواب   ما الفرق بين الحمدين   اما الحمد

في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة
الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة
واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم
يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي أحكم
أمور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما
يلج في الأرض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن
والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء
العيون والفلز والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج
الفلز ما يذاب من جواهر الارض
والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد
وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب
شكرها وقرأ علي بن أبي طالب ننزل بالنون والتشديد قولهم لا تأتينا
الساعة نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها
على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد أوجب ما بعد النفي ببلى
على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في
التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي
إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال
المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الا
ستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع
منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ
هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى نعم وذلك أن
قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة
إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه

كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يعزب عنه شيء من
الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه
الاختصاص مجيئا واضحا الناس قد أنكروا إتيان الساعة
وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليه جهد القسم فيمين
من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه
هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة
وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء
وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل
بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء
أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم
أمره كما قال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي
أمر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم
الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب
وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر
نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة وقرئ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع على أصل
الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب
وهو كلام منقطع عما قبله هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة
كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي
وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل
لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر قلت
يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت
الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح
نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل

عنده الا مسطورا في اللوح وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة
الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولو العلم يعني اصحاب
رسول الله ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين
اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق وهما
مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا
والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد
عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم
من لم يؤمن من الاحبار انه الحق فيزداد واحسرة وغما الذين كفروا
قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا اعم يحدثكم با
باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد
ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم
ويبدد اجزاءكم كل تبديد اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك
ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد
من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون
بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق
وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشد اطباقا على عقولهم
جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان
في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا
كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رض ينبئكم   قد جعلت
الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا
اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا   نعم ومعناه ما حصل من الاموات
في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب

وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح   ما العامل في اذا
ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره   الجديد فعيل
بمعنى فاعل ام مفعول   هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد
وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو
الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا
ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك
لما اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله السحر وكلتاهما
همزة وصل   القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك
الى اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر
لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام   ما معنى
وصف الضلال بالبعيد   هو من الاسناد المجازي لان البعيد
صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل
كان رسول الله عم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه
بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم
فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول
كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي
ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره
أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا
امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما
وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم
او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به
كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض
وفيهما وما يدلان عليه من قدرة الله تعالى لآية ودلالة لكل عبد منيب

وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله
على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشا
ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد
اتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقراء الكسائي نخسف بهم
بالادغام وليست بقوية يا جبال اما بدل من فضلا او اما من
اتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي
من التاويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح
كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق
فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة
لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال
تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا
ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه
ولن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير اي فرق بين
هذا النظم وبين لن يقال واتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه
والطير كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن
الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالاهية حيث جعلت الجبال منزلة
منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم
سمعوا واجابوا اشعارا بانه من حيوان وجماد وناطق وصامت
الا هو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له
لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار
ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة
وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الصافية وهو اول من اتخذها
وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق

منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين
ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم
ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة ادمي
فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود
فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه
ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع
وقدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق فتفصم الحلق
والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله وسخرنا لسليمان
الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن
قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها
بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو
فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم
راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان
نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله
القطر النحاس المذاب من القطران ما فاراد
بعين القطر اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله
كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين
القطر باسم ما ال اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل
في الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل
عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من
ازاغه وعذاب السعير عذاب الاخرة عن ابن عباس وعن السدي
كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه

الحنى المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال
سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد
والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في
المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم   كيف استجاز سليمان عليه السلام
عمل التصاوير •   هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه
ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن
اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان تكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة
غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروي
انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد
ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل
الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد
على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله
يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على
انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل
على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين
او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث
ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه
انا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة

سخرنا

والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه
ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن
ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر
وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان
من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم
اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت
الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو ان يجعلني من ذلك
القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر وقرئ فلما قضي عليه الموت •
ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض
فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة
وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة
وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته
ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة
العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وتخفيف
الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة
بين بين هو التخفيف القياسي ومنساته على مفعالة كما يقال
في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت
بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقحة وقحة وقرئ
اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى
وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله
والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس

القادحة الدودة

الانس على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخرنوبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به

شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فمات قبل ان يتم فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف تقديره الاية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح وما معنى كونهما اية لم يجعل الجنتين في انفسهما اية وانما جعل قصتها وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما اية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره

كيف عظم الله جنتي اهل سباء وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق
يحتف بها من الجنان ماشئت لم يرد بستانين اثنين فحسب
وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى
عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال
لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم
واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها
رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره
وعن ابن عباس رضي الله كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة
وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل مما يتساقط
فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا بر
غوث ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن
ثعلب معناه اسكن واعبد العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر
ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت
بالشعر من نسخة المصنف
به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون
اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم
الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة
سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد
المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم

المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة
التي بين عيسى ومحمد عليهما وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين
والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر
ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن
اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه
من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن
اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير وكانه
قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان
الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية
البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن قلل السدر
لانه اكرم ما بدلوا وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل
يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان هذا الجزاء لا يستحقه
الا الكافر والعقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته
والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر
وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى
في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا
بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل
نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل
يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر
والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم
بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما

البرير ثمر الاراك

فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه كانهم امروا بذلك واذن لهم فيه

ما معنى قوله ليالي واياما

معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا

وبعد بين وقرئ ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم وقرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم ولاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل للمشركين قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم

لا يملكون رحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله
لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم
في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات
والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من
العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى
اين مفعولا زعم   احدهما الضمير المحذوف الراجع
منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او
محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني
لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه
قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون
الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا
لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم
محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع
كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل
قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين
الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع
لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله   بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء
وقعت حتى غاية   بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن
وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم
او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص

ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون
مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع
عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة
في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم
قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن
ابن عباس عن النبي عم فاذا اذن لمن اذن في ان يشفع فزعته الشفاعة
وقرا الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل
وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم
فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار
والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن
علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم
تكاكاتم علي تكاكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة
من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط
مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير
ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه
ان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار
بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به
لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم
افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا
ان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من
يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من

وقرئ اذن له اي اذن له الله
واذن له على البناء للمفعول صح

ولمن يشفع الا لمن ارتضى امره بان
يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره صح

يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون
الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم يقرون بالسنتهم مرة ومرة
كانوا يتلعثمون عنادا او ضرارا او حذرا من الزام الحجة ونحو قوله عز
وعلا قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والا
لجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون
الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي
لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام
المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد
انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة
غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن
التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة
مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه
قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان
اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء كيف خولف
بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال لان صاحب
الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال
كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي
وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين هذا ادخل في الانصاف
وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل به الى
المخاطبين واراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن
وبالعمل الكفر والمعاصي العظائم وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل

يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار ما معنى قوله اروني وكان يراهم
ويعرفهم اراد بذلك ان يريهم الخطاء العظيم في الحاق الشركاء
بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة القياس
اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقا
يسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم
وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو
الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد
الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا
اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ار
سلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق
التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله
حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه
في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطاء
ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطاء
الاول الا بالخطاء الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطايين قرى ميعاد يوم
وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان
او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعاد
يوم فابدل منه اليوم فما تاويل من اضافه الى يوم
او نصب يوما اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول
سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار
فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت
ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم كيف انطبق

هذا جوابا على سؤالهم ما سألوا عنه ذكره هم منكرون له الا انما
كان استرشادا اخباء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على
سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون
تاخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب
الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون
صفة رسول الله في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب
الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم
جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة والجزاء حقيقة
ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عم او للمخاطب
ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع
والمستكبرون الرؤوس والمقدمون اولى الاسم اي نحن حرف الانكار
لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات
انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم
كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين
بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم
في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى
واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم
لا لقولنا وتسويلنا اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم
وقعت اذ مضافا اليها قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره
فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء
زيد وحينئذ ويومئذ وكان منصرفا وان الحجاج امير وحين خرج زيد
لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب

في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم
واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار
فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا
بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ
الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف
باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين
ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون
الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه ما وجه الرفع والنصب
هو مبتدأ او خبر على معنى بل سببه كذا مكركم او مكركم
سببه كذا والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين
استضعفوا لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول من صاحب الضمير في واسروا
الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم
المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه
بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا
الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من
الاضداد وهذه تسلية لرسول الله عم مما مني به من قومه من التكذيب
والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة

بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله
وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط
إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله أهل مكة وكادوه
بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم
على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم
ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا
وما نحن بمعذبين أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم
نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل الله حسبانهم بأن الرزق
فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما
وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما (وضيق عليهما)
فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق
تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف
أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع
المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي
هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة
للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي
يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها (محلها)
النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا إلا من آمن
استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا من
علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء
الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن
يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضا
عف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك

(في الهامش: إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا [illegible])

لهم الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن يضاعف
لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك
لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء
الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم
الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض
سواه إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا
بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا
المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم فلعل ما قسم له قليل
وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره
في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة
ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين وأعلاهم رب العزة
لأن كل من رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو
رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق
الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم
الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي
هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر
إياك أعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين
برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول
ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم
وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن
اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة

(في الهامش: ينفق، فقر، معنى، لأن، عياله، مشته)

من العدوآء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي
نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة
الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه
الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين
حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور
قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون
في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم
ونقول بالنون والياء الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة
ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب
هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس
مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا
هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا عطفا على لا يملك
الاشارة الاولى الى رسول الله والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق
والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا
وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام
عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال واولئك
الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل
ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه
بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها
برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان
لم يشركوا كما قال ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد

بينهم

بانزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون
فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب
وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله
ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم
من القرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول
الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم
انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم
بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس
وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها
بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر
والربع ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب
الذين من قبلهم لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل
الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا
عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ويجوز
ان ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل
عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله بواحدة
بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها
واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله وتفرقهم
عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين
ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة
ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به
اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه

مثنا

وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض
لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق
وسننه وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض
فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم
والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر
ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله
بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا
والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي
بافتضاحه اذا طولب بالبرهانات فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما
رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل
الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على
العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه
ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم
قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان
مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب
واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين
انه نذير مبين ما بصاحبكم يتعلق يجوز ان يكون
كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله
ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز
بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام
بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سالتكم من اجر
تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان

معنيان احدهما نفي مسالة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني
شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه
الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله ما اسالكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ
مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع
منكم في شيء القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران
من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان
اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به
الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها
او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب
كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا
الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد اقفر
من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رض دخل النبي عم
مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود معه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل
الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله
وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة

وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيد فجعله للاستفهام وقيل للشيطان
الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط
إذا هلك وقرئ ضلَلت أضِل بفتح العين مع كسرها وضلِلت أضَل بكسرها
مع فتحها وهما لغتان نحو ظلَلت أظِل وظلِلت أظَل وقرئ إضل بكسر الهمزة
مع فتح العين. أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت
فإنما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان
من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها
وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية
ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه
لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به إنه
سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى جوابه
محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا
وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله
في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام
الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف
البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء
خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوتٌ
والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها
إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم
علام عطف وأخذوا فيه وجهان العطف على فزعوا
وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ
وأُخذ وهو معطوف على محل لا فوت أي وإذ فزعوا فلم يفوتوا ومعناه فلا فوت
هناك

هناك وهناك أخذ آمنا به بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة
والتناول والتناوش أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال
ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا
وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع
المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من
غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش
همزت الواو المضمومة كما همزت في أجؤه وأدؤر وعن أبي عمرو التناؤش
بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت
تمنى نئيشا أن يكون أطاعني أي أخيرا ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية
الحال الماضية وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم
في رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم
لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة
من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته التي
عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويُقذفون بالغيب على البناء
للمفعول أي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه
بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان
في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا
من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه
شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله
بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر
كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله
من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم
بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس

على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز
بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم
من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب اذا اوقعه
في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما
مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون
مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى
الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا
لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري
ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتداتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة
وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة
اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الكلمة
المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر
العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل
عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا
تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع
وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان
اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم
اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره
ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم
الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان

قيل ما الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة
الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما
بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة
لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان
يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم
حياء من الله وعن رسول الله عم انه راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة
جناح وروي انه سال جبريل صلوات الله عليه ان يتراءى له في صورته
فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله
في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ثم افاق وجبريل عم
مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت
ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر
جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل
الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي
عن رسول الله عم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت
الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في
العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة
وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة
في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تاتي
في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف استعير الفتح للاطلاق
والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله
من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه
التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية
رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي

شيء يرسل الله فلا احد يقدر على اطلاقه   لم انث الضمير اولا ثم ذكره
وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط   هما لغتان للحمل على المعنى
وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع
اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم
يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها   لا بد للثاني
من تفسير فما تفسيره   يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك
لدلالة الاول عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول
دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه   فما تقول فيمن فسر
الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس   ان اراد بالتوبة الهداية لها
والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان اراد انه ان
شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة
ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعد امساكه فمن يهديه من بعد الله فبأي
حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر
على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه
ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها عن
الكفران والغمط بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل
لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها و
الخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد يا اهل
مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث
فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء
ما محل يرزقكم   يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون
له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له

الرحمة

غمط النعمة وغمطها بطرها وقال الغمط احتقارها والقصر ان الخطا ... واحتقارها

او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل خالق غير الله تقديره هل يرزقكم
هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل   نعم ان جعلت
يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين
الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض
وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من
السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل
يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان
قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل
من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد
الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك نعى على
قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء
قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة
المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها   ما وجه
صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له
معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي
ما معنى التنكير في رسل   معناه فقد كذبت رسل اي
رسل ذوو عدد كثير واولو ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم
وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة وعد الله الجزاء بالثواب
والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنا
فعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن
لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور
الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك

أو جمع غارّ كقاعد وقعود. أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص
علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوة جنسنا
من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا،
فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه، وأنتم
تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله، فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم، ولا يو
جدن منكم ما يدل إلا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم، ثم لخّص سر أمره
وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن
يوردهم مورد الشقوة والهلاك، ولأن يكونوا من أصحاب السعير، ثم كشف الغطاء
وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان
والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا، قال لنبيه: أفمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا، يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين
كمن لم يزين له، فكأن رسول الله قال: لا، فقال: فإن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. ومعنى تزيين العمل والإضلال
واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك
خذلان الله وتخليته وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال، ويطلق أمر
النهي، ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا، كأنما
غلب على عقله وسلب تمييزه، ويقعد تحت قول أبي نواس: اسقني حتى تراني
حسنا عندي القبيح. وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم
فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم، ولا يحزن
ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم. وذكر الزجاج أن المعنى
أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة
فلا تذهب نفسك عليه، أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، فحذف
لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. عليهم حسرات مفعول له

يعني فلا تهلك نفسك للحسرات، وعليهم صلة تذهب، كما تقول: هلك عليه حبا، ومات
عليه حزنا، أو هو بيان للمتحسر عليه، ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر
لا يتقدم عليه صلته، ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر
كما قال جرير: مشق الهواجر لحمهن مع السرى ... حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد رجعن كلاكلا وصدورا، أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها، ومنه قول ابن الرومي:
تساقط نفسي حسرات ... وذكرهم لي سقام. وقرئ: فلا تُذهِب نفسَك. إن
الله عليم بما يصنعون، وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم. وقرئ: أرسل الريح.
لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وبعده ... لتحكي الحال التي
تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة
الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تهم المخاطب
أو غير ذلك، كما قال تأبط شرا: بأني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة
صحصحان ... فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران. لأنه قصد أن
يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها ابن عمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها
ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل
شدة، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها،
لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقناه وأحيينا، معدولا بهما
عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه. والكاف في كذلك في محل
الرفع، أي مثل إحياء الموات نشور الأموات. روي أنه قيل لرسول الله
صلعم: كيف يحيي الله الموتى، وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: هل مررت بوادي أهلك
محلا ثم مررت به يهتز خضرا؟ فقالوا: نعم، فقال: فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آيته
في خلقه. وقيل: يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال، تنبت
منه أجساد الخلق. كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل:
واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا، والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة

قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا فبين أن لا عزة
إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة   ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند
الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن
الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار
تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة
جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما
تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل
ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب
الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن به العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها
وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد
وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح
وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي عم هو قول الرجل سبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا
بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا
بعمل ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة وعن
ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه
يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل
من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد
الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز
وعلا   مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت
هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين

يمكرون المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعني بهن مكرات
قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات
يمكرونها برسول الله عم إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه
عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ومكر أولئك هو
يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم
وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أزواجا
أصنافا أو ذكرانا وإناثا كقوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وعن قتادة
زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له   ما معنى قوله
وما يعمر من معمر   معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا
بما هو صائر إليه   الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو منقوص
العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره   هذا من الكلام المتسامح فيه
ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم
وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس
المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت
بلدا ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر
الإنسان ولا يقصر إلا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان
أو غزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع
بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين
فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون وإليه أشار رسول الله عم
في قوله إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وعن كعب أنه قال
حين طعن عمر رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله فقيل لكعب أليس

قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله
وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه
وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين
سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن
عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص
على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن
والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه
ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية
وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها
يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء
والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها
تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها
ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة
الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المري السهل الانحدار لعذوبته
وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي
يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين
بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب
في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في
طريقة قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم
قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتداء والله ربكم له الملك اخبار

ومعنى الاجاج شديد الملوحة ... قال الزجاج

اخبار مترادفة او والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران
قوله والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع
اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يا باه
والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان
لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد ولو سمعوا على الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم
لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالاهية ويتبرون منها وقيل ما نفعوكم
يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير
بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى
ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت
به وقرئ تدعون بالتاء والياء لم عرف الفقراء قلت
قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء
وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر
مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه
على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي
خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء قد
قرن الفقراء بالغني فما فائدة الحميد لما اثبت فقرهم اليه وغناه
عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد
وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني
النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه
الحميد على الالسنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب لاتخاذهم له اندادا
وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن
ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر

اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة
لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة
الدنيا الولي بالولي والجار بالجار   هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى
ولم قيل وازرة   لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة
الا حاملة وزرها لا وزر غيرها   كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم   تلك الاية في الضالين المضلين وانهم
يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء
من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء   ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل
منه شيء   الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير
ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها
الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ   الام اسند
كان في ولو كان ذا قربى   الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة
لم ترك ذكر المدعو   ليعم ويشمل كل مدعو   كيف استقام
اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة   هو من العموم الكائن
على طريق البدل   ما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان التامة
كقوله وان كان ذو عسرة   نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى
على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه وان كان مدعوها
ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج
من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل
بخلاف ما اورده بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم

غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر
وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله من اصحابه كانت عادتهم المستمرة
ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما
مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل
منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن
تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد
للمتزكين بالثواب   كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت
لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيامة
وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله اسمعهم ذلك فلم ينفع
فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم الاعمى والبصير مثل للكافر
والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وعلا والظلمات
والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه
من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا
في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم
الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل
بالليل   لا المقرونة بواو العطف ما هي   اذا وقعت
الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي   هل من فرق بين
هذه الواوات   بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى
وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام
ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل
فيه من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص
وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد

ان يسمع المقبورين وذلك مما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما
عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان
من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي
المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية
والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى
بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا
او صلة لبشير ونذير اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد والامة الجماعة الكثيرة
قال تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين
الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم
والمراد ههنا اهل العصر   كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عم
ولم تخل فيها نذير   اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل عن نذير الى ان تندرس
اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله محمدا عم   كيف اكتفى بذكر النذير عن
البشير في الاية بعد ذكرهما   لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها
بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو
التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء اليهم اسنادا
مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب
وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام   الوانها اجناسها من الرمان والتفاح
والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها
والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة
الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل
ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة
هي الجبال الطوال السود   الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود

[margin: لا استماد (؟) قد اشتملت على ذكرها بالبينات]

غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب
ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه
ذلك   وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا للمضمر
كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير   وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من
تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد يعني ومن الجبال ذو جدد بيض
وحمر وسود حتى يؤول المعنى الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا
الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض
مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي
الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسرها
ابو ذؤيب جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق
الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها
من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرا ولا
الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما
وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد
العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز
فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد علما ازداد
منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم
خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه
وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه
هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر   لا بد من ذلك
فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله

[margin: بما قبله
والدهر لا يبقى على حدثانه   يعني حمارا
جون السراة اي اسود الظهر وظهر
كل شيء سراته والجدود الاتان التي
قد جف لبنها وجمعها جدائد كذا قال
الاصمعي ومعمر ومعنى البيت لئن
هلكت بني واصابني بعدهم فالدهر
لا يبقى على حدثانه هذا الحمار الجون
الاسود ومعنى له جدائد اربع اي
هو نشيط قوي لا يخشى ان يكبر
فيضعف]

من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى
الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان
مختلفان   ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله   لما قال الم تر
بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام
قدرته واثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل
به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما
يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي عم
انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به   فما وجه قراءة من قرا
انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة
الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل
المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة
اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى يتلون كتاب
الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله
هي اية القراء وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون
به وعن السدي هم اصحاب رسول الله عم وعن عطاء هم المؤمنون
يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق
بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده
اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق
وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم
اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله لهذا
الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم
والشكر مجاز عن الاثابة من الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن

للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين
يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فراك
اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر
الكتب   ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب   فيه وجهان احدهما
انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال
اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا
وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة
لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب
الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجاء
لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق من
السابقين والوجه الثاني انه قدم ارسال في كل امة رسولا وانهم
كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال
ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه
من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك
من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة
الحنيفية   فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير
الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك   لما كان السبب
في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات
عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت
عن الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم
لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يعتبرا

بما رواه عمر رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم
وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع
من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق بالخيرات
باذن الله بتيسيره وتوفيقه   لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق
للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة
اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة
بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون
جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة
فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون
بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون
به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة
الاولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء
العاقبة لقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب
السموم عن ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن
الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال
النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان
الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة
في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله يخرجون من
قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان القوم كثير والحسنات المقامة
بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله
من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل

لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح
وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع
او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت
الفرق بين النصب واللغوب   النصب التعب والمشقة التي تصيب
المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب
فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال
والفترة فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور
بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته   هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله
فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم
انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه   فائدة زيادته
التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل
بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم
على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله
اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى فيقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر
على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر
الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلعم العمر الذي اعذر الله فيه
الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل

يقال للصايح صارخ والصارخ المستغيث والصريخ
المغيث وهو من الاضداد صح

ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر
علام عطف وجاءكم النذير على معنى ام نعمركم لان لفظه
لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم
بذات الصدور كالتعليل اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب
في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه
ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من
الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا
ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع
لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف
خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم
على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط
النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي
وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه
قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس
وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله اي جعلكم امة خلفت من قبلها
ورايت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء
كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم ارءيتم بدل من ارءيتم
لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن حال هؤلاء الشركاء وعما
استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه
دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق
بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد

لانه صح ... باسقط ... اذا فالعرب ... جواب القسم ...

بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان
الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وقرئ ولئن زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن
زالتا سد مسد الجوابين ومن الاول مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء
من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من
لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب
ملك قال كذب كعب يهودية ثم قرا هذه الآية بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما
بعث رسول الله كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم
ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها
هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم
اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق
وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من
نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا
في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين
ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا وقوله
ومكر السيئ اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا
السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اي لا يحيق الله ولقد
حاق بهم يوم بدر وعن النبي عم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم
على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مغواة
وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله فقرأ الآية وفي أمثال العرب
من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيء بإسكان الهمزة
وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو
وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا
سنة الأولين إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل
استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي
الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة
واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم
في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم
ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم
على ظهرها على ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل
ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن
مسعود رض كان الجعل يعذب في جحره بذنب آدم ثم قرأ هذه الآية وعن
أنس أن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس
المطر فيهلك كل شيء إلى أجل مسمى إلى يوم القيامة كان بعباده بصيرا
وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة
دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ يس بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر
على الأصل كجير وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت
وعن ابن عباس معناه يا إنسان في لغة طيء والله أعلم بصحته وإن صح فلعله

أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره
كما قالوا في القسم م الله في أيمن الله الحكيم ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة
كالحي أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد
خبر أو صلة للمرسلين   أي حاجة إلى الخبر إن كان أو صلة
وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم   ليس الغرض
بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس
على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين
في نظام واحد كأنه قال إنك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وأيضا
فإن التنكير به دال على أنه أرسل من بين الطرق المستقيمة على صراط
مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر
مبتدإ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن قوما ما
أنذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر
قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من
نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل
ما مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول
الثاني لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا
أي فرق بين تعلق قوله فهم غافلون على التفسيرين
هو على الأول متعلق بالنفي أي لم تنذر وأنهم غافلون على أن عدم إنذارهم
هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك
إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل   فكيف يكونون
منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر
لا مناقضة لأن الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء
من ولد إسمعيل وكانت النذارة فيهم   في آخر التفسير أن آباءهم

لم ينذروا وهو الظاهر فيما تصنع به   أنذر به آباؤهم الأدنون
دون الأباعد القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني
تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على
الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين
المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا
تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله   ما معنى
قوله فهي إلى الأذقان   معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها
وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة
فيها رأس العمود نادر من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله
فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح إذا روي
فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان
ومنه اقتمحت السويق   فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم
أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا
على ذكر الأيدي   الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون
ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى
التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر
الذي يدعو المعنى إليه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج
فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين
القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان   قلت يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار
المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح
والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم
فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي

وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين
من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا
يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت إلى
عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي
آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره   قد ذكر ما دل على انتفاء
إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم عقبه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه البغية
لو كان الإنذار منفيا   هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود
الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى
بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين
وهم المتبعون للذكر وهو القرآن والوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم
بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب
ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب
صنفوه أو حبيس أحبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو
سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدث فيها تخسيرهم
وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة
يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم
من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر
أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فأتانا في ديارنا وقال
يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم فما وددنا بحضرة المسجد
لما قال رسول الله وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار
التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء
للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب

كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد واضرب لهم مثلا
أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول
وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية إذ جاءها المرسلون رسل عيسى
عم إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان إذ أرسلنا إليهم اثنين فلما قربا
من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما
فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض
سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق ورقي حديثهما
إلى الملك فقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما
فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا
وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال
له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا
ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت
لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر
إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا
به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية
من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا
حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم قال شمعون وهذان
فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن
لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا فعززنا فقوينا بثالث يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها

[margin: فسألهما] [margin: حال]

وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا
وقهرنا بثالث وهو شمعون **فإن قلت** لم ترك ذكر المفعول **قلت**
لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق
وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له
وتوجهه إليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم
بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه إنما رفع
بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس
شبه فلا يبقى له عمل **فإن قلت** لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمر
سلون آخرا **قلت** لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله
ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن
منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا إلا
البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا
فلو قال المدعي والله إني لصادق فيما ادعي ولم تحضر البينة كان قبيحا تطيرنا
بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم
وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته
طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة
أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة
إن أصابنا شيء من أجلكم قالوا طائركم معكم وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم
معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم
وقرأ الحسن اطيركم أي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام
وحرف الشرط وآئن ذكرتم بألف بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم وقرئ
أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم

[margin: بالحق صح] [margin: كان صح]

وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم
تطيرتم وقرئ اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا
شئم المكان بذكرهم كانوا بحلول الشؤم فيه احرى بل انتم قوم مسرفون فمن ثم اتاكم
الشؤم لا من قبل رسول الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون
في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل
النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله عم وبينهما ستمائة سنة
كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول
الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم
حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية
فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله عم سباق الامم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون
من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم
ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه
ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي
فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون
ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق
الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح
الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع
العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع
لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم
منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على

تمام في الصحاح القصب بالضم المعا

ويداريهم بالتمهن

ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل
فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقرئ
ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اي لما قتل
قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد
قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها **فان قلت** كيف مخرج هذا القول في علم البيان **قلت**
مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه
كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي
لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض
الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما
تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن
الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع
نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل
والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته
والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة الاصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم
كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم
لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين **فان قلت** ما في قوله بما غفر لي
ربي اي الماءات هي **قلت** المصدرية او الموصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب
ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم
من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان

إنما تمهلونا بعد ما قد علمت بما صنعت هذا أو لم صنعت. المعنى إن الله كفى أمرهم
بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق. فإن قلت
وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك
قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون
بعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله فمنهم من
أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من
أغرقنا فإن قلت فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق فقال فأرسلنا عليهم ريحاً
وجنوداً لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين قلت إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن لوط بريشة
من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمداً عليه السلام بكل شيء
على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً على حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة
والإعزاز ما لم يوله أحداً فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله وما
أنزلنا وما كنا منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما
كنا نفعله بغيرك إن كانت إلا صيحة إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة وقرأ أبو
جعفر المدني بالرفع على كان التامة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل
لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم
فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذي الرمة
وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة من زقا الطائر
يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود
رماداً كما قال لبيد • وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو
ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة
فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى
أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم

متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط إنكاره له
وتعجيبه منه وفي قراءة من قرأ يا حسرتا تعضيد لهذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي
وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث إنها
موجهة إليهم ويا حسرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا
ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها
كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه
نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيداً لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه
وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره
ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن
الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من
أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة
ويحكى عن ابن عباس أنه قيل له إن قوماً يزعمون أن علياً مبعوث
قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه
قرئ لما بالتخفيف على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة
باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى إلا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما
فعلت وإن نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضاً من المضاف إليه
كقولك مررت بكل قائماً ومحضرون معذبون فإن قلت كيف أخبر عن
كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لأن كلاً يفيد معنى الإحاطة
وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع
فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعاً القراءة بالميتة على التخفيف
أشيع لسلسها على اللسان وأحييناها استئناف بيان لكون الأرض
الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه

الاستفهام

وصفها

أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بعينهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما
بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة
على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح
الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ
وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظًا ومعنى وقرئ
ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه
الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن
بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار
من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة
على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع
إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور
وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع
البهق فقيل له فقال أردت كأن ذاك ويجوز أن تجعل ما نافية على أن الثمر
خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الأول وما عملت من
غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة
والشام مع الضمير الأزواج الأجناس والأصناف ومما لا يعلمون ومن أزواج لم
يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله
تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقًا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم
في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا
يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رض لم يسمهم بما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل هو ما اطلعهم عليه فأعلمنا
بوجوده وأعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة
أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته

وانسلاخ ملكه سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها من جلدها
فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون
في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا لمستقر لها لحد لها مؤقت
مقدر ينتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو
لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقًا مشرقًا ومغربًا مغربًا
حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها
من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها
أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة
وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقرئ
تجري إلى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجري
لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير
والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه
ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمًا بكل معلوم قرئ
والقمر رفعًا على الابتداء أو عطفًا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبًا
بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير
نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل
القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت
يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة
إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء
المستمطرة وهي الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة •
الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر •
الزباني • الإكليل • القلب • الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد
بلع • سعد السعود • سعد الأخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشاء •

فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم
المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة
الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في
وصيته عتق منهم ما مضى له حول واكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان
الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا
معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح
ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان
على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس
نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا
يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف
فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان قلت** لم جعلت الشمس غير
مدركة والقمر غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر
يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة لن توصف بالادراك لتباطؤ سيرها
عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين
فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على سبق ذكره
ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء
لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله
من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة
نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم
وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم
وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح

البزيون السندس

ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق لا صريخ لا مغيث
او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق
الا رحمة الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه
بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن
سلمت من الحمام الى الحمام وقرا الحسن تغرقهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن
مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع
التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما
خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا
محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل
لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل آية وموعظة
كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته
فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان
كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه
من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم
وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم
معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا
امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه
نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا
يشاء اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي مكة حين قال فقراء
اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء
الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال قول الله لهم وحكاية قول المؤمنين لهم او هو

وجملة جوابهم للمؤمنين قرئ يخصّمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها
واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى
انها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين
بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه
ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم
عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون لا يستطيعون
ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم
واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة قرئ الصور بسكون الواو
وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء
ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قرئ يا ويلتنا
وعن ابن مسعود من اهبّنا من هبّ من نومه اذا انتبه واهبّه غيره وقرئ
من هبّنا بمعنى اهبّنا وعن بعضهم اراد هبّ بنا فحذف الجار واوصل الفعل
وقرئ من بعثنا ومن هبّنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما
وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد
وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر
اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا
ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين
وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم
او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد
الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق
فما وجه قوله وصدق المرسلين [المرسلون] اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا
الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون

من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا
من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم
الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت
بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا
بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث
النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو
الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين
الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير
للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل
في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار
المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ
التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك
بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية
وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من
العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن
ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه
اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار
لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم
قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه
والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة
وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث
وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر

هم يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم
يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال وقرئ في ظلل
والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين يدعون
يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل
لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك
ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان
في خير ما ادعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعونه أهل
الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة
رب رحيم والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة
في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم
بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما
يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام
أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ
سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم
مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك
حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما
الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير
وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم
يمتاز من بعض العهد الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز فيهم من أدلة
العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم
ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعه
الكسر إلا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم

[illegible]

وضرب يضرب واحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا إشارة
إلى ما عهد إليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم
منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد أنيابها العلى
لأفقر مني إنني لفقير أراد أنني لفقير بليغ الفقر حقيق بأن أوصف
به لكمال شرائطه فيّ وإلا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط
مستقيم يريد صراط بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه
ويجوز أن يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول
عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي
إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق
أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل
لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع
غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين
وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ
جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الأجيال يروى أنهم
يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون
ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث
يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه
انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم
وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا
أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون
على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا

قبله وعو
دعوت الهي دعوة ما جهلتها وربي بما تخفي النفوس بصير
ويرد اليكا بالعلى الأسنان الأعالي

اونجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو شاء
لمسخ اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى
مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين في متصرفاتهم موضوعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا
عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره ولو شاء لاعماهم فلو ارادوا
ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا اولو
شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا
ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما
وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به
من المقاصد دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد
كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه
باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم
قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم
وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي
ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على
ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي
من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه
فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي
في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال
عز وجل ثم يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين
وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة
العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف النقل وعكسه قادر
على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف

وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس فلا يعقلون بالتاء والياء كانوا يقولون
لرسول الله صلعم شاعر وروي ان القائل عقبة ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر
اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو
من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما كلام موزون مقفى يدل
على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه
واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظ عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له
وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم
يتات له او لم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير
من الكلام ولكن كان لا يتاتى له   فقوله انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير
صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان
جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم
اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه
شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير
عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن
من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله
يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن
كتاب سماوي يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل
بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر
القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان

حيًّا اي عاقلًا متأمّلًا لأنّ الغافل كالميّت او معلومًا منه انّه يؤمن فيحيا بالايمان
ويحقّ القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأمّلون ولا يتوقّع
منهم الايمان ممّا عملت ايدينا ممّا تولّينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه
غيرنا وانّما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصحّ ان يقدر عليها الا هو
وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها
لاجلهم فملّكناها اياهم فهم متصرّفون فيها تصرّف الملّاك مختصّون بالانتفاع
بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك رأس البعير ان نفرا اي لا اضبطه ومنه من جملة النعم الظاهرة وان
كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرّفه الصبيّ بكلّ
وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير
لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة
ويسبّح بقوله سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وقرى ركوبهم
وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرى
ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع من الجلود
والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصّلها
في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتًا الآية والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب او الشرب اتّخذوا الالهة طمعًا في ان يتقوّوا بهم ويعتضدوا
بمكانهم والامر على عكس ما قدّروا حيث هم جند لآلهتهم معدّون
محضرون يخدمونهم ويذبّون عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة
بهم ولا قدرة على النصر او اتّخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم
والامر على خلاف ما توهّموا حيث هم يوم القيامة جند معدّ لهم محضرون
لعذابهم لانّهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك بفتح الياء وضمّها
من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمّنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانّا عالمون

بما يسرّون من عداوتهم وما يعلنون وانّا مجازوهم عليه فحقّ مثلك ان
يتسلّى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع
عنه الهمّ ولا يرهقه الحزن ما تقول فيمن يقول ان قراءة
قارئ انّا نعلم بالفتح تنقض صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر
فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن
والشعر وفي كلّ كلام وقياس مطّرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله عم ان الحمد والنعمة كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل
والثاني ان يكون بدلًا من قولهم كانّه قيل فلا يحزنك انّا نعلم ما يسرّون وما
يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبيّن
ان تعلّق الحزن بكون الله عالمًا وعدم تعلّقه لا يدوران على الكسر والفتح
وانّما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر
البدل كما انّك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولية ثم ان
قدّرته كاسرًا او فاتحًا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسوله
عن الحزن على كون الله عالمًا بسرّهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك ممّا يوجب
شيئًا الا ترى الى قوله فلا تكوننّ ظهيرًا للكافرين ولا تكوننّ من المشركين فلا تدع
مع الله الهًا آخر قبّح الله عزّ وجلّ انكارهم البعث تقبيحًا لا ترى اعجب منه
وابلغ وادلّ على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي
وتوغّله في الخسّة وتغلغله في القحة حيث قرّره بانّ عنصره الذي خلقه منه هو
اخسّ شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة
ثم عجّب من حاله بان يتصدّى مثله على مهانة اصله ودناءة اوّله لمخاصمة الجبّار
وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلجّ ويمحك ويقول من يقدر على
احياء الميت بعدما رمّت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه
به وهو كونه منشأً من موات وهو ينكر انشاءه من موات والمكابرة التي

لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل
والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون
إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن
إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتّه بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي
هذا بعد ما رم قال نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فإذا هو
خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر
على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال أومن ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين   لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا
لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء
الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه
بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون
ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه
في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام
غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث
ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت
الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها
من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة
وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت
ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة
رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها
ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة
النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها

من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع
الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن
ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه
كذينقات القصارين الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم وقرئ
يقدر من قدر على خلق السماوات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي
أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس
وقوله أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة
بالإضافة إلى السماوات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدإ
وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق
إنما أمره إنما شأنه إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه
ولا صارف أن يقول له كن أن يكونه من غير توقف فيكون فيحدث أي فهو كائن
موجود لا محالة   ما حقيقة قوله أن يقول له كن
هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة
المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع   فما وجه القراءتين
في فيكون   أما الرفع فلأنها جملة من مبتدإ وخبر لأن تقديرها فهو يكون
معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على
يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا
مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدر واستعمال الآلات وما يتبع ذلك
من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن
يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإ
عادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا

كل

بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته ومقتضيات حكمته وقرئ
ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها
وعن ابن عباس رضه كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت
بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وإن
وتم فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون
قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر
كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك
الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته و
يصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات
الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة
من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان
ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل
الجنة وهو ريان وقال عم إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها
ألا وهي سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم أقسم سبحانه بطوائف
الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلوة من قوله عز وجل
وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله
فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات بكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها
وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما
زجر عن معاصي الله والتاليات كل تالي كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء
العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرايعه
أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو

الذكر مع ذلك لا يشغلها تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب ما حكم الفاء
إذا جاءت عاطفة في الصفات إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قال الذي صبح
فغنم فآب وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل
واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين
فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات فإن
قلت فعلى أي هذه القوانين الثلاثة هي فيما أنت بصدده إن وحدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة
على ترتيب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة
وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتيبا لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف
ثم الزجر ثم التلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن
أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتيب
الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات
أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إن أردت بالصافات الطير
وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن الموصوفات
مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات خبر بعد
خبر أو خبر مبتدأ محذوف المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق
الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فأما ما أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين أراد مشرقي
الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم
لما يزان الشيء به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب
فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة
الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما

زينة السماء بحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر
والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب
بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد
ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب
بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا
من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها
الكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها
الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد
واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس
هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينتصر التخفيف على التشديد لا يسمعون
كيف اتصل بما قبله لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او
استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يستمعون لا معنى له
وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب
بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة
او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل
حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع
الشهاب الثاقب هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا
فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت
ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر

من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب
اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت
حديثه والى حديثه المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد
الاصغاء مع الادراك والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس
والجن الملا الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة
وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا
للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين
على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او
قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه
قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم
في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم
غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين
الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف الخطفة بكسر الخاء والطاء وتشديدها
وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ
فاتبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في
اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم
والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاسد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه
وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض
والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب
اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء
فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا
مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا
من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك

وتقطع به قراءة من قرا امّن عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى
خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد
لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق
العظيمة ولم تصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب
اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من طين غير موصوف بالصلابة
والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه
من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول
بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والناقب الشديد الالصاق بل عجبت
من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم
من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ
بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث
ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه كيف يجوز
على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله
عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى
الاستعظام والثاني ان يخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من
الّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقد كان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله
لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه
علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرا بالضم وقيل معناه
قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون
به واذا راوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون
في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وآباؤنا معطوف على

محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة
الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم
اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما
لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون
صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة
واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما
البعثة زجرة واحدة والنفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر
الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرجعت لصوته ومنه زجر ابي عروة
السباع اذا اشفق ان تختلطن بالغنم يريد تصويته بها واذا هم
احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا
من كلام الكفرة بعضهم من بعض وان تكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا
يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم
الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء
والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب
بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم عن النبي عليه السلام وهم نظراؤهم
واشباههم من العصاة اهل الزنى مع اهل الزنى واهل السرقة مع اهل
السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم
فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر
بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون قد
اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون
ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا
يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون
اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشومى كما سموا اختها

اليمن ويتشاءمون بالسانح وتطيّروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت
الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان
رسول الله صلعم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه
بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير
وناحيته فصدّه عنه واضلّه وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين
اتاه من قبل الدين فلبّس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات
ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة والثواب والعقاب
ومن اتاه من خلفه خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم
يؤد زكوة   قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت
اليمين مجازا عن المجاز   من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق
وهذا من ذاك ولك ان تجعلها استعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة
وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسهم
والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع
تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم
واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا
لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا
بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم
لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل   لقد زعمت هوازن قل مالي
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلّف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة
لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلّف على المحلَّف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي
دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا

اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة
مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل
مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم
كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك لشاعر
مجنون يعنون محمدا صلعم بل جاء بالحق ردّ على المشركين وصدق المرسلين لقوله
مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب الاليم بالنصب على تقدير النون
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب
الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل الا عباد الله ولكن عباد الله
على الاستثناء المنقطع فسّر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به و
لا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن
حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما
ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص
خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت
كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة و
قوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد
الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس
ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان ينفر عنه نفوسهم هوان اهل النار
وصغارهم التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفاء
بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس
شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن
عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه
الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة
في انهار كما يجري الماء قال الله وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما ان

توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ
ولذيذ ووزنه فعل كقولك طب قال الشاعر ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض
العدى من خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه
وأفسده ومنه الغول التي تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم وينز
فون على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران
نزيف ومنزوف وللمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركية
حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون
الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى
أنتم آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب
الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون
بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط
من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو
وتأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرده وأفرده بالذكر
قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم
كقوله عربا أترابا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون
في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور
علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون
فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا محادثة
الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا
إلا أنه جيء به ماضيا على عادة الله في إخباره قرئ من المصدقين من التصديق
والمصدقين بتشديد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه
الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني
الله في الآخرة خيرا منه فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المصدقين

لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء
والمسوسون من دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان
نفسه قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين
قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل الله عز وجل
وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا
أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع
وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو
أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من
أطلعه غيره فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة
أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا
للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل
موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه وشبه اسم الفاعل في ذلك
بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر في
سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن
عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل
على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ونعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الا
ستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء أو إنعام الله بالثواب وكونه
من أهل الجنة من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك
الذي عطف عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين
ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به

لهم للعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم انما يتمنون
فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت فقال الذي يتمنى
فيه الموت بقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وتسمع من قرينه
ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز
ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر
الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق
المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصله
المنزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل
من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم
والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا
ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة
الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق
ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى
الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم
انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما يؤدي الى الرزق
المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا
على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء
لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق
الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم
من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين
دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح

في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح
الصورة كانه وجه الشيطان كانه رأس شيطان واذا صوره المصورون صح
جاؤوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير
محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة
المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا
منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر
برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع
اصلا ثانيا يشبه به فانهم لآكلون منها من الشجر اي من طلعها فمالئون بطونهم لما
يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من
العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد
شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في
صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب
به والاول تسمية بالمصدر ما معنى حرف التراخي في قوله
ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم في الاول
وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش
ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر
الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع
فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته
لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى
ان يتملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك

بينٌ وقرينٌ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان مرجعهم الى الجحيم   علل استحقاقهم
الوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال
وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل
اسراع فيه شبيه بالرعدة ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء
حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي انهم اهلكوا جميعا
الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينهم على
القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين
اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم
جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناه
الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين
هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان
معه في السفينة غير ولده وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال
قتادة الناس كلهم من ذرية نوح كان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام
وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان
من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه
في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون تسليما ويدعون
له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها   فما معنى
قوله في العالمين   معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا
يخلو احد منهم منها كانه قيل سلام الله على نوح وادامه في الملايكة والثقلين
يسلمون عليه عن اخرهم علل مجازاة نوح عليه بتلك التكرمة السنية من تبقية
ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا
بانه كان عبدا مومنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات

المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ومن شيعته ممن شايعه على اصول
الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين
ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه
وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم
الفان وستماية واربعون سنة   بم تعلق الظرف   بما في الشيعة
من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقويته حين جاء ربه بقلب سليم
لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع افات القلوب وقيل من الشرك
ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها كلها
ما معنى المجيء بقلبه ربه   معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه
فضرب المجيء مثلا لذلك افكا مفعول له تقديره ائفكا تريدون الهة من دون الله ائفكا وانما
قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم
عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا يعني اتريدون
افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون اتريدون
الهة من دون الله افكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين
استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر
في وهم ولا يكن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد
عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه
سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين
فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم فكانوا يخافون العدوى
ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالا
صنام ما فعل   كيف جاز له ان يكذب   قد جوزه بعض الناس
في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح
ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام

وقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد ودعوت
ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه
الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل أراد إني
سقيم النفس لكفركم فراغ إلى آلهتهم فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب وآلهتهم
أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله أين شركائي ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها
وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لأن
راغ عليهم في معنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا
وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين
وأشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن
أصنامكم يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف إذا دخل في الزفيف أو من
أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أي يحملون
على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم
يزفون بعضا لتسارعهم إليه فإن قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا
بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر
ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين
ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم
فلعله هو الكاسر ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه
الكاسر قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرا منهم
دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا
الطعام الذي وضعوه عندها ليتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا
من فعل هذا بها لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض
بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف في أن لا يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك
أحد والثاني أنهم إنما يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم

قالوا فأتوا به على أعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه
من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي فطر الأصنام
فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم
عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار
والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام
جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم
بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فإن قلت فما أنكرت
أن تكون ما مصدرية لا موصولة وتكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة
قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن
معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج
عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن
العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه
ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك
طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما
في قوله ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف
متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فإن قلت
اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم قلت
بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة
فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا
فإنك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وبين ما تنحتون حتى تخالف بين المرادين
بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأ
عمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة
الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله علاه عليهم

في المقامين جميعًا واذ السهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه
ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين
لم يقدروا عليه اراد بذهابه الى ربه مهاجره الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض
الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني
ويعصمني وينفعني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله عز وعلا
وقال له ما هذا بك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه
في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء
والطمع لقال كما قال موسى عم عسى ربي ان يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين
هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظة الهبة غلبت في الولد وان كان قد جاء في
الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له
اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس حين هناه بولده
علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية
بهبة الله وموهوب ووهب وموهب وقد انطوت البشارة على ثلث على ان
الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليمًا واي حلم اعظم من حلمه حين
عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل
ما نعت الله الانبياء باقل مما نعتهم بالحلم وقال لعزه وجوده ولقد نعت الله
ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت
بحلمهما جميعًا فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه معه بم
يتعلق لا يخلو ان يتعلق ببلغ او بالسعي لان صلة المصدر اي الحد الذي
يقدر عليه على السعي فصلح مع من تقدم مع الله والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق
الناس به واعطفهم عليه وغيره وربما عنف به في الاستسعا فلا يحتمله لانه
لم يستحكم قوته فلم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه
في اغضاض سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر

ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اني في المنام
فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني
ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما تقول الممتحن وقد راى انه
راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة
التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك
من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في
الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته
بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له
اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقرئ ما
ذا تري اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي
ماذا تريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف
من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى
المفعول وسمية المامور به امرًا وقرئ ما تؤمر به لم يشاوره
في امر هو حتم من الله سبحانه لم شاوره ليرجع الى رايه ومشورته
ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون
عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله
قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة
فقد قيل لو شاور ادم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك
لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة كما ارى يوسف عليه السلام سجود
ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله دخول المسجد
الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء عليهم السلام وذلك لتقوية

الدلالة على كونهما صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا
تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احدهما سلم
لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له
وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع
فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله و
جعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة
في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه
على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان
وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد
منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم   اين جواب لما
هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما
وحمدهما لله تعالى وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا
في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه
مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة
والظفر بالبغية بعد الياس البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون
من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن
ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل
وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت
سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام
استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم
وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه سبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي
وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه

قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر
ولله الحمد فبقيت سنة وحكي في قصة الذبيح انه لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له
اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري
وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي
ليكون اهون فان الموت شديد واقرا على امي سلامي وان رايت
ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم
العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان
ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له
كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين
امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش
وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود
الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الاية فيمن نذر ذبح
ولده انه يلزمه ذبح شاة   من كان الذبيح من ولديه
فقد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر والقرظي وجماعة من التابعين
انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلعم قال انا ابن الذبيحين وقال له
اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر
بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم
على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل
والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول
اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد
بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم

قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يعدل بي احد حب ابرهيم قط
ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه
واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى
لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز
هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل
الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل
الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح
فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة
وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر
دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد
في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعكرمة وعطاء وجماعة
من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله اخبر عن خليله ابرهيم عليه السلام حين
هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه
بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل
الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله   قد اوحي الى ابرهيم صلوات الله عليه
في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان
يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح   قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه
على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه
وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا مجتهدا

كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ
على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام
حتى يشتغل بالكلام فيه   الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر
بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه   الفادي هو ابرهيم عليه السلام
والله هو الذي وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى
السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته   فاذا كان ما اتى به ابرهيم
من البطح وامرار السكين في حكم الذابح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من
الذبح ببدل   قد علم عز وجل ان حقيقة الذبح لم يحصل من فري الاوداج وانهار الدم
فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن
في نفس الكبش بدلا منه   فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام
ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان   الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله
حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه   لم قيل ههنا كذلك نجزي
المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك   قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما
استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية   نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها
خالدين   فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول
موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما
وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم
حاله لا محالة لان الحال حليته والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق
حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف نجعل نبيا حالا
مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن
صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة
فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم
اسحق   هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه

لابد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد
مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير
قوله فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء
والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق
بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله
وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان
بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا
اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين وقيل وباركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبيا
بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد
يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما
لم يعد عليهما بعيب ولا منقصة ولان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت
يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان
فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند قوله
منه على ان التاء مبدلة من واو والصراط المستقيم صراط اهل الاسلام
وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ
الياس على كسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس وقيل
هو الياس بن ياسين من ولد هارون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون
بعلا وهو علم لصنم كان لهم كناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله
عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموا اربعماية

سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة
والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سمي مدينتهم
بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يعني من بعل اهل الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون
بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب ابائكم قرئ بالرفع على الابتداء
وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين
وادراسين وادرسين على انها لغات في ادريس والياس ولعل لزيادة اليا
والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه
كقولهم الخبيبون والمهلبون فيه لا حملت على هذا الياسين على القطع
واخواته لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين
فعلى ان ياسين اسم ابي الياسين اضيف اليه الاول مصبحين داخلين في الصباح
يعني يمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افلا تعقلون تعتبرون بها
قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز
والمساهمة والمقارعة يعني استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع
وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت
فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق
لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت
وهو مليم داخل في الملامة يعني ذو ملامة او مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ
مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحو مدعو بناء على
دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن
الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس
كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله في اكثار المؤمن
من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة

لسفعه وكثر عليه في المضايق والشدايد للبث في بطنه الطابق لبثه فيه الى يوم البعث وعن
قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت
اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما
وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا
ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه
يتنفس فيه ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا
وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين تولد واليقطين
كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل
من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا تجتمع عنده وقيل
لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز
تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة
تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه تبكي
على ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فما معنى انبتنا عليه شجرة
انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف
المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى
عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر
عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى الناظر
اي اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر او الغرض الوصف بالكثرة الى حين الى
اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة
وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم
ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي
قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم

الشديد لهن ووأدهم اياهن بغضا واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلثة انواع
من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم
حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم
فيك انوثة او شكلك شكل الاناث للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في
اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها
في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات والارض ان يكون له
ولدا الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ام يجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على
البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة
ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل لهم وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحو ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله
علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى
انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا
خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على
طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة استفهاما على طريق الا
ثبات جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش
وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه
الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد
اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء

وخبرهم بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد
لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل
نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على باله ويحدث
به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد
الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له
بذلك جنسية جامعة له وللملائكة لم سمى الملائكة جنة قالوا الجنس واحد
فمن خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو
ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم
وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة
الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفة الاجرام لا يجوز ولا يصح ان
يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين الملك وبين بعض خواصه فيقول لك
اتسوى بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في انهم
لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم
في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة
في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر
الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا
الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجن بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم
والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين
له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين
ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن
المخلصين برآء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم

ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم لسوء اعمالهم يستو
جبون ان يصلوها كيف يفتنونهم على الله معناه يفسدونهم
عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه
وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته
فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم
وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون
والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم
عليه اي على ما تعبدون بفاتنين باعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو
صال الجحيم مثلكم او يكون من اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرأ
الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين
هي ولام التعريف كيف استقام الجمع مع قوله من هو من موحد اللفظ
مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه
في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك
والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به
باله واصله بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله
الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما منا الا له مقام معلوم حذف الموصوف
واقيم الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من اخي البشر مقام
معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلاة واجنحتنا في الهواء
منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين
انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلاتهم المسبحون
المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما
يصفون من قول الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة

وشهدت

أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه
عن ذكروا استثنوا عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك
فإنكم وآلهتكم لا يقدرون أن تفتنوا على الله أحدًا من خلقه وتضلوه إلا من كان
مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا
أنهم أصحاب النار ومن أهلها وكيف يكونون مناسبين لرب العزة ويجمعنا إياه
جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة
لا يستطيع أن يزل عنه ظفرًا خشوعًا لعظمته وتواضعًا لجلاله ونحن الصافون
أقدامنا في طاعته ولعبادته أو أجنحتنا مذعنين خاضعين مستحين مجدلين وكالحجب
على العبادي لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلعم يعني وما من المسلمين أحد إلا له
مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا
ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه
مما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا قريش كانوا يقولون
لو أن عندنا ذكرًا أي كتابًا من كتب الأولين نزل عليهم التورية والإنجيل لا
خلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر
هو سيد الأذكار والكتاب هو الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحو
فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم
من الانتقام وإن هي مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا
يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره الكلمة قوله إنهم
لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة
لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلمتنا والمراد الموعد
بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة
كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد
وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد

رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين مثلًا تحدث عليها عبرًا يعتبر بها وعن الحسن
ما غلب في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر
والنصر وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن
ابن عباس إن لم ينصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين
سبقت معنى حقت فتول عنهم فأعرض عنهم واغض على أذاهم حتى حين إلى مدة
يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي إلى يوم بدر وقيل إلى الموت
وقيل إلى يوم القيمة وأبصرهم وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب
في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة
والمراد بالأمر بإبصارهم على الحالة المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة
واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس
عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم
بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى
إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرًا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم
بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا
صباحًا فسميت الغارة صباحًا وإن وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية
وكانت لها الروعة التي تحس بها وتروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها
على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على إسناده
إلى الجار والمجرور وكقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء و
بئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلعم يوم الفتح بمكة وعن
أنس لما أتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا
محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه السلام الله أكبر خربت خيبر إنا
إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وإنما ثنى وتول عنهم ليكون

تسلية على التسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين
معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة و
أنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة أضيف
رب العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه
بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها
ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله
ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة
من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على
المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض
تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم
ومودعات قرآنه المجيد وعن علي من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من
الأجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك إلى آخر السورة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

نقل عن نسخة منقولة عن نسخة مولانا ولي الدين وهو نقله
عن نسخة الشيخ قوام الدين وهو نقله عن نسخة المصنف المكتوبة
بخطه الموقوفة بخزانة المشهد مشهد الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله عليه
ووقع الفراغ من تحرير بعض أجزاء هذا المجلد يوم الأحد وقت الظهر
من العشر الأوسط من شهر المبارك المحرم من شهور سنة تسع وأربعين
وثمانمائة هجرية على يد العبد الضعيف النحيف الراجي إلى رحمة الله
اللطيف محمد بن إسماعيل الحنفي عفي عنهما